البديع التداولي

في كلام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

(دراسة دلالية وجمالية)

المدرس الدكتور
خالد كاظم حميدي
كلية الشيخ الطوسي الجامعة ـ النجف الأشرف

البديع التداولي في كلام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (دراسة دلالية وجمالية)

المدرس الدكتور
خالد كاظم حميدي
كلية الشيخ الطوسي الجامعة ـ النجف الأشرف

مقدمة:

يعدّ كلام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من أقدم النصوص العربية الإسلامية النثرية التي جاءت معبّرة عن رؤية شاملة عميقة للعالم وعلاقاته، بما فيها علاقة الإنسان بربه وبالآخرين، وقد عدّ كلامه من الناحية الفنية من النصوص العبقرية التي جمعت عمق المضمون وجمال الشكل.

ولعلّ هذه المزية المهمة جعلته ميدانا خصبا للدراسات الأكاديمية، اللغوية منها والبلاغية والأسلوبية.

ويأتي هذا البحث: (البديع التداولي في كلام الإمام أمير المؤمنين) خطوة من مجموعة خطوات في دراسة هذا النبع الثر. وتكمن أهميته في جدته فهو لم يأخذ حقه من الدراسة والتحليل عند القدماء والمحدثين، وذلك لعمق النص العلوي وثرائه الدلالي وتعقيده الفني الذي يثير شراهة المتلقي في البحث عن آفاق دلالية جديدة، فضلا عن صعوبة الزاوية التي تناولها البحث(البديع التداولي)، فهو ذو خصوصية تميزه من بقية مباحث البلاغة، إذ إنّ مباحثه تتجسد في شكل النص، بل أخصّ خصائص الشكل، ومن ثم فالأثر الذي يؤديه ينبعث في النفس المستقبلة مباشرة، وهذا يتطلب اتباع مناهج متعددة في محاولة إمكان إيجاد دراسة معاصرة لهذا النوع من البديع، باتباع المناهج الحداثية والمعاصرة، انطلاقا من أن هذه المناهج مجتمعة تنهض بوصفها ممارسة

علمية تستعين في تحليل النص الأدبي بتقنيات منهجية مستمدة من علوم محايثة منها: علم البلاغة، وعلم الجمال، وعلم الدلالة، والبنيوية، والإحصاء، والموازنة إلى غير ذلك. وتتمثل هذه المنهجية في ثلاث ركائز أساس هي: الوصف والتحليل وتقويم النتائج وتفسيرها، وصولاً إلى فهم الشكل الإجمالي للنص ودلالته الكلية بوصفه عملاً معقداً ومتكاملاً ذا حدود متميزة تحدد نظامه الخاص ومغزاه.

وبهذا يكون منهجنا في التعامل مع التراث تجديديا، يقوم تجديده المنهجي على الإفادة من الجهود الكبيرة والمتميزة التي بذلها علماؤنا الأفذاذ من بلاغيين ونقاد، ليتضح أنّ ما تضمنه هذا الكتاب من مقاربات وتأويلات وقراءات قد تختلف مع منهج الأقدمين وفرضياتهم وقد تتفق، بحسب ما نراه مفيدا أو غير مفيد في تحليل النص وفهمه.

وقد واجهت الباحث صعوبات كثيرة،منها ما يتصل بالجانب النظري وتتجلى في أن الدراسات السابقة التي تناولت البديع التداولي لم تخرج عن مقولات الاقدمين - الا ما ندر - لذلك وجدت نفسي وحيدا في مقابلة هذا الموضوع، ومنها ما اتصل بالجانب التطبيقي في قلة الدراسات التطبيقية المشابهة الجادة، التي تضيء نصوص الإمام علي عليه السلام شكلا ودلالة وموضوعا وجمالا، للكشف عن أسرار هذا النص البليغ، ولاسيما عند النظر إليه من أخّص خصائص الشكل الفني التي تتجسد في ظواهره البديعية التداولية، التي تتطلب دراستها استعمال مناهج مختلفة تتضافر لتتكامل مع المنهج البنيوي الصوري، وهو ما ينهض به المنهج الوظيفي التواصلي الذي يرى أن اللغة ظاهرة اجتماعية تفرض أن ينتهج الباحث فيها المقترب التداولي الذي ينظر إلى اللغة والكلام ليسا أداة إخبار فحسب، بل هما الملفوظ منزل في المقام يبحث فيه عن المعنى الذي قد يكون في القوة المتضمنة في القول، أو المقصود

بالقول، أو القوة بالقول، بحسب الموقف أو المقام الذي يجعل المتلقي شريكا في إنتاج المعنى ولاسيما عند تلقي النصوص الإبداعية.

قد اعتمدت في دراستي، هذا المقترب الوظيفي لدراسة البديع التداولي، وهو ما يتوخى البحث عن حيثيات الدلالة والأثر الجمالي، وهو مقترب يحلّ لنا إشكال وصل علم البديع بالبلاغة، لا بوصفه شيئا خارجيا مضافا إلى جمال سابق، بل بوصفه شيئا جوهريا في العملية الإبداعية ربما توقف عليها الإبداع، وهذا الإشكال لا يحلّ إلا بتوسيع مفهوم المقام في الدراسات الحديثة ليتجاوز مقام التخاطب المرجعي وصولا إلى المقام الثقافي أو التفاعلي، وهو مقام التحاور والتخاطب، والمقام الاقتضائي الذي يتكوّن مما يتوقعه المتخاطبون من معتقدات ومقاصد.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع والمنهج المتبع أن يقسم على تمهيد وأربعة مباحث سبقت بمقدمة وانتهت بخاتمة، تناولت في التمهيد مفهوم البديع التداولي وخصوصياته وأنواعه، ولم أجد حاجة بالتعريف بالإمام علي عليه السلام فهي شخصية مشهورة، وخصص المبحث الأول لدراسة (الاقتباس والتضمين)، أما المبحث الثاني فكان من نصيب (التقسيم)، وجاء المبحث الثالث بعنوان (العكس)، وخصص المبحث الرابع لبعض الظواهر البديعية قليلة الورود أطلقت عليها اسم: (مباحث تداولية أخر)، ثم ختم البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، تلاها كشّاف بأسماء المصادر والمراجع المعتمدة، وهي متفاوتة من حيث القدم والحداثة، ومتنوعة من حيث البلاغة واللغة والأدب والمعاجم والتفاسير القرآنية، ومصادر الحديث النبوي، فضلا عن الدراسات الألسنية والأسلوبية الحديثة - بشطريها البنيوي والسيميائي التداولي -، التي أخذت مساحة أكبر من المصادر القديمة؛ بسبب حداثة المقاربة النقدية التي اخترتها، ولكن هذا لا يعني الانقطاع عن

المصادر البلاغية القديمة.

وأخيراً أود أن أشير إلى أنني لا أدعي بلوغ الكمال في هذا البحث، وحسبي أنني درست واجتهدت، فإن أصبت فذلك من توفيقه سبحانه وتعالى، وإن أخطأت فهو من نفسي، وما توفيقي إلا بالله العلي القدير عليه توكلت وإليه أنيب.

التمهيد:

البديع التداولي: المفهوم والأنواع والوظائف:

على الرغم من أنّ البلاغة كلّها ذات بعد تداولي[١]، وقد أجمع الباحثون على أنّها الأفق المنشود والملتقى الضروري للتداولية[٢]، فإنّ بعض مباحثها تكون أكثر ارتباطا بالمقام لوضوح المعاني التي يسبغها المقام على الكلام، وذلك ما يظهر في (علم المعاني)، لاستناده إلى أسس لسانية متينة وهي نحو الجملة وما يتولد منه من إمكانات، ويتضح ذلك في مواقف علماء البلاغة وأمثلتهم في تقسيم الخبر[٣]، التي نلحظ فيها العناية بطريقة تقديمه دلالة على مراعاة مقتضى المقام أو الحال؛ لأنّ المقام أو الحال من قرائن المعنى[٤]، وذلك ما يضطلع به علم المعاني.

ويلي علم المعاني في وضوح أثر المقام (علم البيان)؛ لأنّ بعض الباحثين فسّر هذا المقام بأنّه مقام المتكلم[٥]، فهو لا يستطيع التعبير عن المضمون الروحي من (أفكار، وعواطف)، إلا بهذه الطرائق، ذلك أنّ الألفاظ محدودة، والمعاني غير محدودة، بحسب رأي الجاحظ[٦]، ولكن هذه الآلية تصبّ في مصلحة المتلقي، إذ يجعل الكلام الغامض محسوساً قابلاً للإدراك والوصول إلى ما يقصده المتكلم عن طريق المبادئ التداولية، التي تجعل المتلقي يفهم أكثر مما قيل له، وذلك بحلّ الشفرات البيانية اعتماداً على القرائن المقالية والحالية

التي تميّز الحقيقة من المجاز. وبذلك يكون (علم البيان) هو مقتضى حال المتكلم ومن ثم يتحوّل هذا الوضوح الدلالي إلى المتلقي، الذي تتجلى عنده المعاني بأساليب مختلفة جميلة مؤثرة فيتفاعل معها ومع دلالاتها ومضامينها.

أمّا مباحث علم البديع، فإنها أكثر مباحث البلاغة غموضاً وصعوبة في ربطها بتعريف البلاغة المشهور:"مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"، لكن بعض الباحثين المحدثين ربط مباحث هذا العلم بتعريف البلاغة، فسمى(البديع) مقام تحسين الكلام وتزيينه[٧]، ففنون البديع ذات معنى في مقام معين، وتصبح زخرفاً مضافاً فقط في مقام آخر، وهي على الوجهين لابدّ من استعمالها في مقام تحسين الكلام، فحاجة الكلام إلى الحلاوة والطلاوة حاجة ملحة[٨]. وهذا يعني أنّ (علم البديع) يرعي مقتضى حال المخاطب من وجهة نظر ما يأتي:

١- التكوين النفسي للمخاطب وإحساسه الجمالي، فالإنسان يتفاعل مع الإيقاع، لأنه جوهر الفنون؛ لذلك ينظم المتكلم على ما يوافق تفاعله واستجابته مع الإيقاع والموسيقى اللذين توفرهما إمكانات اللغة.

٢- أن يخاطب صنفاً خاصاً من المتلقين الأذكياء الذين يمكن مخاطبتهم بالتلميح أو بالرموز الخفية، فيجعلهم شركاء فاعلين في إنتاج المعنى، إذ يبني المتكلم رسالته اللغوية بشكل مفارقات معتمداً في توصيله على مبدأ تداولي هو: (التعاون)أو (التآزر)، وفيه قواعد[٩] تضمن الوضع المثالي للتواصل، لكنّ المتكلم كثيرا ما يخرق بعضها ويظلّ التواصل قائماً، معولاً على هذا المبدأ؛ لأنه يفترض أنّ المتكلم ما زال مراعياً للمبدأ نفسه، معتمداً على حسن ظنه بمخاطبه في استنباط النقص في المعلومات وعدم وضوحها،ولاسيما في النص الأدبي، الذي يعدّ ظاهرة اجتماعية تكمن اجتماعيتها في داخلها وليست مفروضة عليها

من الخارج، وهنا تكمن عناية أي دراسة ذات طابع جمالي بوحدة الشكل والمضمون وسياقهما التاريخي ومعنى هذا المزيج الكائن والممكن بالتأويل الذي تضطلع به السيمياء التداولية[١٠]، التي تسعى إلى الكشف عن شبكة العلاقات اللغوية وما تحلمه من دلالات لا متناهية ناتجة لا من محتوى التعبير بل من كيفية التعبير[١١].وتعتمد على تضافر مكونين: لساني وبلاغي[١٢]يضطلع المكون اللساني بمهمة تحديد الدلالة، ويضطلع المكوّن البلاغي بمهمة ربط الدلالة بالسياق المقامي والمعطيات البلاغية لتحديد المعنى "Sens".

ويتضح مما تقدم أنّ(البديع التداولي) أكثر تأثيرا في المتلقي، ذلك أنّ الكلام البليغ ومنه كلام الإمام عليه السلام يتضمن بالضرورة الإيقاع التشابهي، بوصفه أساس الفن، وربما ضمّ الإيقاع التباييني، فضلا عن بديع من نوع خاص سميته بـ(البديع التداولي)، الذي يرتكز على فعالية المتلقي في إنتاج المعاني الإيحائية المتضمنة في شكل هذا البديع الذي ورد في النصوص القرآنية والبليغة الراقية، ومن ذلك ما يظهر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾[١٣].

فعلى رأي ابن عطية الأندلسي، فإنّ الذي غرّ الإنسان هو الله تعالى بوصفه كريما، ولفظة (الكريم) تلقن هذا الجواب، فهذا من لطف الله تعالى بعباده العصاة من المؤمنين[١٤]. فالخطاب القرآني موجّه للمتلقي الذكي اللماح، الذي جعل ابن عطية نفسه مكانه، فتصوّر مسرحة الحدث، فصوّر نفسه هو المخاطب الماثل بين يدي المتكلم سبحانه وتعالى، فتوصّل اعتمادا على التداول الذي ظهر في صفة(الكريم)، فقال:إنّ السؤال يتضمن جوابا، الذي غرّني هو كرمك[١٥].

والملاحظ أنّ هذا المعنى غير مصرّح به في التركيب الكلامي تصريحاً مباشراً،

بل كان معنى إيحائيا، استنتجه ابن عطية عن طريق التأمل العميق والتأويل، أو بما يعرف اصطلاحا بـ(السيميائية التداولية)، التي لم تقطع التواصل في الحوار، وإن بدا الأمر كذلك بين الحاكم العادل والمحكوم القار بذنبه.

ونجد في تراث العرب الأدبي طائفة كبيرة من الشواهد التي تدلل على توظيف هذا الاستعمال اللغوي في نصوصهم، وقد جمع ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)[١٦]، وشهاب الدين الأبشيهي(ت٨٥٢هـ)[١٧] وغيرهما، طائفة من المواقف التي تبيّن أنّ هناك نوعا من الاستعمال اللغوي لا تتضح دلالته إلا على وفق مبدأ (التعاون)؛ لأنّ الدال تتسع دلالته وتتعقد،ويبرع الذكاء والفطنة عند المتلقي لتأويل مقاصد المتكلم.

ومن ذلك ما نقله الأبشيهي من أنّ معاوية قال لعقيل بن أبي طالب يوما: ((إنّ عليا قد قطعك، وأنا وصلتك ولا يرضيني منك إلا أن تلعنه على المنبر، قال: أفعل، فصعد المنبر، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وآله: أيها الناس إنّ معاوية بن أبي سفيان قد أمرني أن ألعن علي بن أبي طالب، فالعنوه فعليه لعنة الله. ثم نزل، فقال له معاوية:إنك لم تبيّن مَن لعنت منهما، بيّنه، فقال: والله لا زدت حرفا، ولا نقصت حرفا، والكلام إلى نيّة المتكلم))[١٨].

نلحظ أنّ النص يشتغل على خرق قاعدة وضوح الدلالة في مبدأ التعاون والتآزر، وذلك بغموض عودة الضمير في قوله:(اللهمَّ إلعنه)، على ما سبقه من كلام ويمكن إيضاح ذلك في المخطط الآتي:

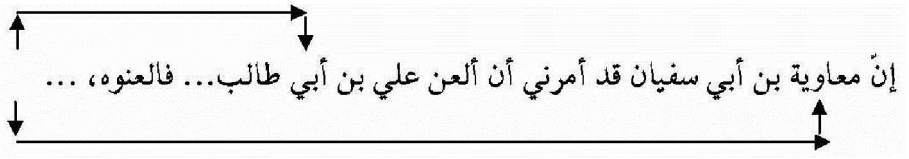

نجد أنّ المتكلم خرق قاعدة نحوية تقول بعودة الضمير على القريب، لتتجاوز المسّ بأخيه عليه السلام، وهذا يؤدي إلى لعن الآمر باللعن: معاوية، وقد فهم معاوية قصد المتكلم في عدم تعيين عائدية الضمير المبهم الذي تتحدد علميته بالعودة على علم ظاهر قبله، وقد أوحى المتكلم بذلك للمخاطبين معتمدا على قرائن مثل: (أمرني)،التي تتضمن القيام بفعل، يصادر حرية التعبير، فضلا عن أنّ الأعراف الاجتماعية والدينية لا تتوافق دلالتها مع لعن الإمام علي عليه السلام. وقد أوحى الظاهر في تذييل الكلام بذلك: (فعليه لعنة الله)، ليتوافق مع قرائن ثقافية كثيرة يعرفها أصحاب معاوية[١٩] أنفسهم منها ما حكي عن الأحنف بن قيس من أنه كان جالسا في بعض مجالس معاوية وقد دخل رجل من أهل الشام، فقام خطيبا وكان آخر كلامه أن لعن عليا عليه السلام، فقال الأحنف لمعاوية: يا أمير المؤمنين إنّ هذا القائل لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين للعنهم، فاتقِ اللهَ ودع عنك عليا، فلقد لقى ربَّه، واُفرِد في قبره، وخلا بعمله، وكان والله المبرور سيفه، الطاهر ثوبه، العظيمة مصيبته، فقال معاوية: يا أحنف لقد تكلمت بما تكلمت، وأيمّ الله لتصعدن على المنبر فتلعنه طوعا، أو كرها، فقال له الأحنف: يا أمير المؤمنين، إنْ تعفني فهو خير لك، وإن تجبرني على ذلك، فوالله لا تجري شفتاي به أبدا، قال: قمْ فاصعد، قال:أما والله لأنصفنك في القول والفعل، قال: وما أنت قائل إنْ أنصفتني؟ قال: أصعد على المنبر فأحمد الله وأثني عليه وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وآله، ثم أقول: يا أيها الناس إنّ أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن عليا، ألا وأنّ معاوية وعليا اقتتلا فاختلفا فادعى كلّ واحد أنه مبغيّ عليه وعلى فئته، فإذا دعوت فأمّنوا رحمكم الله، ثم أقول: اللهمّ إلعن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه، والعن الفئة الباغية، اللهمّ إلعنهم لعنا كثيرا، أمّنوا رحمكم الله. يا معاوية لا اُزيد على هذا ولا اُنقص حرفا ولو كان فيه ذهاب روحي، فقال معاوية: إذاً نعفيك يا أبا بحر[٢٠].

نستدل من النص أنّ إلحاح معاوية في طلب اللعن، ومن ثم العدول عنه، هو إحساسه أنّ ألأحنف بن قيس سيبني كلامه على وفق استعمال لغوي مخصوص يتضمن التعدد الدلالي المعتمد على ثقافة السامع الدينية والاجتماعية، فضلا عن ميوله ورغبته في تحديد الدلالة المتضمنة، وهذا ما لا يريده معاوية؛ لأنّ الباغي معروف عند المتلقي، وكذا المبغي عليه[٢١]. ويذكر صاحب كتاب(طبقات الشافعية) أنّ رجلا قال لأبي حنيفة ما تقول في رجل قال: إني لا أرجو الجنّة ولا أخاف النار، وآكل الميتة والدم، وأصدّق اليهود والنصارى، وأبغض الحق وأحبّ الفتنة، وأصلي بغير وضوء ؟، فقال أبو حنيفة لمن حضره ما تقول فيه؟ فقال هذا كافر. فتبسم وقال: هذا مؤمن، أمّا قوله: لا أرجو الجنة ولا أخاف النار، فأراد إنما أرجو وأخاف خالقهما، وأراد بأكل الميتة والدم، السمك والجراد، والكبد والطحال، وبقوله: أصدق اليهود والنصارى، قول كلّ منهم: إنّ أصحابه ليسوا على شيء[٢٢]، وبقوله أبغض الحق يعني الموت؛ لأنّ الموت حقّ لا بدّ منه،ويحبّ الفتنة أي يحب الأموال والأولاد[٢٣]، والصلاة بغير وضوء أي الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله[٢٤].

ويتضح أنّ متكلمي العربية قد تنبّهوا إلى هذا النوع من الاستعمال الذي يعتمد تفسيره على المتلقي بما يمتلك من ذكاء وخبرة وثقافة، وجعلوا المبدأ الأساس هو مبدأ التعاون أو التآزر بين المتكلم والمتلقي على اكتشاف المعاني وقوة أثرها ومشاركة المتلقي في إنتاجها، ولذلك فُصِلت عن جنسين بديعين كبيرين هما: البديع التكراري، والبديع التقابلي،ولكنها ظلت منفرطة العقد لم يستطيع الدرس البلاغي القديم أن يجمعها تحت مصطلح معين، لغموض العلوم التي يمكن أن تجمعها وهي علم النفس في أحدث مراحله وعلم الجمال في آخر اجتهاداته.

وقد ارتأى الباحث أن يقسم أساليب البديع التداولي بحسب كثرة الورود

على المباحث الآتية:

المبحث الأول: الاقتباس والتضمين. المبحث الثاني: التقسيم. المبحث الثالث: العكس. المبحث الرابع: مباحث تداولية أخر.

المبحث الأول

الاقتباس والتضمين

إنّ دراسة الاقتباس والتضمين بوصفهما من الأساليب البديعية، تفرض علينا وضعهما في القسم التداولي، ذلك أن العبرة فيهما تكمن في عملية التوظيف الفني، الذي يأتي مستجيبا لمقتضى العلاقة بين المتكلم ومتلقيه، ليحقق فعل كلام يولد فهما جديدا لا يعتمد على معانٍ راسخة مسبقة (Pre - established)، عندها يعلق التعبيرات المألوفة والاستعمال الاعتيادي إذا ما أريد له أن تُرى الأشياء جديدة كأننا نراها أول وهلة[٢٥]، ونستحسن هذا المثير، والاستحسان مبدأ أسلوبي[٢٦] يفجأ المتلقي ويملأ وعيه بالمعاني نتيجة لنقل المقتبس من سياقه النظري الافتراضي، أو المرتبط بواقع ماضٍ أو مغيّب، إلى سياق يجمع طرفي الخطاب: المتكلم والمتلقي، فهو سياق تطبيقي وواقع حال، تكون فيه ظروف الكلام من قرائن المعنى اعتمادا على تفاعل العناصر اللغوية وغير اللغوية في الكلام، بحسب ما فصلها فيرث[٢٧] J.Firth .

وتظهر وظيفة الاقتباس التداولية مثلا في واقعة السقيفة عندما وظف أبو بكر آيات من الذكر الحكيم، إذ أراد من الناس تدبير أمورهم بغياب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فاعترضه عمر بن الخطاب خشية أن يضطرب الناس لهذا الخبر وتعم الفوضى، فقام أبو بكر مناديا بالناس:((أيها الناس إنه من كان يعبد محمداً، فإنّ محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإنّ الله حيّ لا يموت، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ. . .﴾[٢٨] إلى آخر الآية، قال: **[عمر]**: فوالله كأن

الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ حتى تلاها أبو بكر يومئذٍ، قال: وأخذها الناس عن أبي بكر إن هي في أفواههم))[٢٩].

وبهذا حقق اقتباس أبي بكر فعلا كلاميا وأثرا ملأ وعي المسلمين؛ لأنه نقل الآية الكريمة من السياق النظري، إذ نزلت الآية والنبي ﷺ حيّ، إلى موقف عملي، وقد انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى وكان ﷺ حلقة الوصل بين الناس وربهم، وبعد غياب هذه الحلقة أصبحت علاقة الناس مباشرة بربهم، وهي من المفترض أن تكون أقوى، وهذا ما يؤكده البحث في موضوع الاقتباس والتضمين، ولا فائدة في رصد هذه الظاهرة من دون الغوص في الأبعاد الدلالية والجمالية لهما.

وقد يؤدي الاقتباس دلالة تخالف دلالة النص المقتبس،وهذا ما نجده في توظيف الحديث الشريف، عندما سئل رجل عن الخمر فقال: ((إنما هو شيء نصنعه دواء،فقال الرسول ﷺ:"إنما هي داء"..))[٣٠].

فوظف أبو نواس هذا الحديث بخلاف معناه، قائلا:

دع عنك لومي فإنّ اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداءُ[٣١]

وقد فرّق الدرس البلاغي القديم الاقتباس عن التضمين، لدواعٍ تمس المعتقدات،إذ تقدّس النصوص الدينية وتفضّلها على سواها، لكن من ناحية المنهج الوظيفي لا يجد الباحث فرقا بين توظيف النص القرآني والحديث والشريف والنص الأدبي، ولكننا لا نريد أن نخالف العرف البلاغي المتفق على إسباغ صفة التقديس على النص الديني،وعندها فلا مانع من إتباع تقسيماته فحسب، كما يأتي:

١) الاقتباس:

يرى علماء البلاغة[٣٢] أن الاقتباس هو أن يضمّن الكلام نظما أو نثراً

شيئا من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف تزيينا لنظامه،وتفخيما لشأنه، لا على أنّه منه، بأن لا يقال فيه: (قال تعالى، أو قال النبي صلى الله عليه وآله) ونحوه، فإن ذلك حينئذ لا يكون اقتباساً.

ويختلف الباحث مع البلاغيين في إيراد هذا الشرط،ذلك أن تلك الكلمات، هي كلمات نثرية ربما لا تتلاءم مع القول الشعري، لأنها تسبب قطعا في الشكل الشعري القائم على الإيقاع والموسيقا، لكن إعمام هذا الشرط على النثر فيه نظر؛ لتوافق هذه الكلمات مع القول النثري، ولانسجامها مع سياقه، وربما أدت هذه الكلمات وظائف دلالية وجمالية لها وقع في نفس المتلقي، فهي تهيؤه نفسيا لتلقي نص تراثيّ مقدّس، وهو ما تؤيده كثير من الخطب الإسلامية البليغة، ومنها نصوص الإمام علي عليه السلام؛ ويقسم هذا الأسلوب بحسب نوعه على قسمين:

١ـ الاقتباس من القرآن الكريم:

تنوّع توظيف الإمام للنصوص القرآنية الكريمة، من حيث التصريح بنسبة المقتبس، أو عدم التصريح به، ونقله كاملا أو نقله بتغيير بنيته؛ بالإضافة والحذف، لأسباب تتصل بمقتضى الحال أو الموقف.

ومن التصريح بكلمة: (قوله تعالى) قوله عليه السلام: ((فَمَا رَاعَنِي إلا والنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ، يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ،حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ، وشُقَّ عِطْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ، فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، ومَرَقَتْ أُخْرَى، وقَسَطَ آخَرُونَ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كلام اللَّهِ حيث يَقُولُ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣٣] بَلَى واللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا ووَعَوْهَا، ولَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وراقَهُمْ زِبْرِجُهَا))[٣٤].

وظف الإمام عليه السلام هذه الآية المباركة في سياق حال تأرجح بين سماع القوم لها، وغفلتهم عنها، ليزيد في كشف المعنى، ويقوي من أثر وقع الدلالة في السامع، وقد أسبغ عليها معنى جديدا، فإذا كانت هذه الآية قد نزلت في أهل العدل والقدرة من الناس، أو أنها جاءت في ذكر فرعون لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ...﴾[٣٥]، وقارون لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[٣٦]، يكون الإمام قد نقل الآيتين الكريمتين من تلك الأجواء الموغلة في القدم، إلى سياق اجتماعي آخر، خصّ به الماثلين بين يديه، أو القائمين بالأعمال الشائنة، وهم: (الناكثون، والمارقون، والقاسطون) بوصفهم امتدادا لأولئك المتصفين بالصفات نفسها لعلوّهم في الأرض وفسادهم فيها وإعراضهم عن دار الله الآخرة، ليوازن المخاطبون أنفسهم بما شبههم به الإمام عليه السلام، فلعلهم يغيّروا من مواقفهم، وإلا فإنهم من المذمومين في القرآن الكريم، تحققا لانطباق النص عليهم في الوقت الحاضر من قبيل الجري والانطباق[٣٧].

وبمثل هذا التوظيف وردت اقتباسات أخر، يصرّح فيها الإمام عليه السلام بكلمات[٣٨]: (الله سبحانه وتعالى)، و(لقوله سبحانه وتعالى).

أمّا الأسلوب الآخر في اقتباس الإمام علي عليه السلام من آي الذكر الحكيم، فهو عدم التصريح باسم القائل عزّ وجلّ، ومن ذلك قوله عليه السلام من خطبة له خطبها عند علمه بغزوة النعمان بن بشير[٣٩]، صاحب معاوية لعين التمر[٤٠]: ((... فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَارٌ، ولا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ، دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الأَسَرِّ، وتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الأَدْبَرِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[٤١]))[٤٢].

نلحظ أنّ السياق السابق للآية الكريمة المقتبسة يشير إلى الحديث عن

الرسول صلى الله عليه وآله وهو قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾[٤٣]، ولعلّ انسجام الاقتباس مع نص الإمام عليه السلام جاء بسبب تشابه موقف الرسول صلى الله عليه وآله عندما أمر المسلمين بالخروج إلى قتال المشركين يوم بدر[٤٤]، فجادلوه في الحق، فتشابه موقف الرسول مع موقف الإمام عليه السلام ومجادلة أصحابه له في الحق أيضا، وهو الجهاد لنصرة أخوانهم من غزو أصحاب معاوية لهم، وقد كشفت الآية الكريمة في سياقها عن أن سبب المجادلة هو كره الحرب، وكذلك كره أصحاب الإمام عليه السلام لها، طلبا للراحة والعافية، ويوحي التشابه بما آل إليه النصر في يوم بدر، بأن التثاقل عن الحرب القائمة على الحق، فيه الهزيمة والخذلان والموت، أما التسابق إليها فهو الحياة، وبهذا تظهر المفارقة في التثاقل والخوف من الحرب، من الموازنة بين الموقف الذي وردت فيه الآية الكريمة في سياقها القرآني، والموقف الذي ورد في كلام الإمام عليه السلام.

وورد هذا الأسلوب من الاقتباس مقدمّا بسياق نصي فيه كلمات تتفاعل مع نص الآية المقتبسة لفظا ومعنى، ذلك في قوله عليه السلام: ((... ولا تَيْأَسَنَّ لِشَرِّ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ تعالى ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٤٥]))[٤٦].

نلحظ أن هناك انسجاما لفظيا بين الآية الكريمة وكلام الإمام عليه السلام يمكن تبيانه فيما يأتي:

ت	كلام الله سبحانه وتعالى	كلام الإمام عليه السلام
١	لا يَيْأَسُ	لا تَيْأَسَنَّ
٢	مِنْ رَوْحِ اللَّهِ	مِنْ رَوْحِ اللَّهِ تعالى

وبهذا يتفاعل النصان لفظاً ومعنى، وصولاً إلى الانسجام الدلالي والسبك اللفظي، لينصهر الكلامان معا في قالب واحد، حتى يصعب فصلهما لشدة

توافق الموقفين بإزاء رحمة الله تعالى الشاملة الواردة في القرآن الكريم، ووعي الإمام عليه السلام بهذه الرحمة، حتى أصبح الموقفان يصوران حقيقة نهائية ثابتة، أما المعنى المضاف فيظهر في عملية تداخل الأسلوبين ووقع هذا التداخل في النفس وهو ما يؤلف ظلا للمعنى.

وقد ظهرت اقتباسات أخرى وظفها الإمام عليه السلام في كلامه وردت على هذا الأسلوب(٤٧).

أمّا الأسلوب الثالث للاقتباس القرآني فقد جاء في كلامه عليه السلام معتمدا على مبدأ التصرف بالنص المقتبس بإضافة أو حذف، وهنا يكون التداخل بين النص المقتبِس والنص المقتبَس أشد تلاحما، وأكثر تأثيرا في المتلقي، لأنه يدعوه للتأمل في التشابه والاختلاف، ذلك أن التشابه هو الأصل، والتغيير عند ذاك يعد عدولا عن الأصل، وهذا يثير سؤالا عن أسباب هذا التغيير دافعاً إلى إعمال الفكر وتنشيطه والالتفات إلى موازنة الأسلوبين.

فمن ذلك قوله عليه السلام: ((اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وتُعْطِي، وعَلَى مَا تُعَافِي وتَبْتَلِي، حَمْداً يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ، وأَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ،وأَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ، حَمْداً يَمْلأُ مَا خَلَقْتَ، ويَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ، حَمْداً لا يُحْجَبُ عَنْكَ، ولا يُقْصَرُ دُونَكَ، حَمْداً لا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، ولا يَفْنَى مَدَدُهُ، فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ، إلا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ، لا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ، لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ، ولَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ، أَدْرَكْتَ الأَبْصَارَ، وأَحْصَيْتَ الأَعْمَالَ، وأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي والأَقْدَامِ))(٤٨).

اقتبس الإمام ثلاث آيات من سور مختلفة وظّفها بهذا الأسلوب، يمكن تبيانها بالجدول الآتي:

كلام الإمام عليه السلام	كلام الله تعالى	الاختلاف
إلا أنا نعلم أنك حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم	﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾(٤٩)	مقام المخاطب: (أنك) يلائم تنكير (حي قيوم)،لأن المخاطب معرفة، وفي الآية خطاب غيبة يلائم تعريف (الحي القيوم)
لم يدرك بصرٌ، أدركت الأبصار	﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾(٥٠)	كذلك
وأخذت بالنواصي والأقدام	﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾(٥١)	مبني للمعلوم يلائم خطاب الحضور، مقابل المبني للمجهول الملائم لتعظيم يوم القيامة

الملاحظ أن أغلب التغييرات التي حدثت في هذه الآيات الثلاث جاءت بفعل تحويل المتكلم الخطاب من خطاب الغيبة في كلام الله تعالى عن نفسه وعن أحداث يوم القيامة، الذي هو مالكه، إلى خطاب الإمام بضمير الخطاب المباشر، وكأنه يرى من يخاطبه، وذلك ما أكده في قوله عندما سئل هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟، فقال: ((أ فأعبد ما لا أرى، فقال: وكيف تراه؟ قال: لا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، ولَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الإِيمَانِ، قَرِيبٌ مِنَ الأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلامِسٍ بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ، مُتَكَلِّمٌ بِلا رَوِيَّةٍ، مُرِيدٌ لا بِهِمَّةٍ، صَانِعٌ لا بِجَارِحَةٍ، لَطِيفٌ لا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ، كَبِيرٌ لا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ، بَصِيرٌ لا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ، رَحِيمٌ لا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ، تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ، وتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ))[٥٢].

بمعنى أن هذا التحويل قد حول النص إلى خطاب يتضمن عدة أصوات: صوت المخاطِب (بالكسر)، وصوت المخاطَب (بالفتح)، مما يوحي بصورة مثول المتكلم بين يدي ربه قارا بما وصف به نفسه إقرار تجربة معيشة حية.

وكثيراً ما يتلقى الإمام النص القرآني تلقي أفعال الكلام، إذ يجعل النص يملأ وعيه بمعانٍ عميقة يستوعبها بوصفها سلوكاً واعمالاً، لا ألفاظا، فهي مؤثرة في سلوكه وتغيره، لذا نراه يبين لمن لم يعِ هذه الحقيقة، إذ سمع رجلا يقول: ((إِنَّا لِلَّه وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، فَقَالَ إِنَّ قَوْلَنَا إِنَّا لِلَّه إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْمُلْكِ وقَوْلَنَا وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْهُلْكِ))[٥٣].

وقد اقتبس ذلك الإمام ذلك من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٥٤].والجديد في اقتباسه عليه السلام هو أنه عندما فصل معنى الجملتين: (إنا لله)، و(إنا إليه راجعون)، وجه تنبهنا إلى التأمل والتفكر في المعاني القرآنية العميقة، التي تستحق أن يتوقف عندها المسلم وأن يتدبر ما في القرآن الكريم

من مقصود، ولا يتعجل القفز على الكلمات وهو ما لا يفسح المجال للتأويل العميق.

٢ـ الاقتباس من الحديث الشريف:

لا تختلف أساليب اقتباس الحديث الشريف عن الاقتباس من القرآن الكريم، إذ جاء بثلاث طرائق أيضا، ففي الطريقة الأولى يصرّح عليه السلام باسم منشئ الاقتباس (رسول الله صلى الله عليه وآله)، وذلك ما ورد في قوله عليه السلام للخليفة عثمان بن عفان: ((فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ، هُدِيَ وهَدَى، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً،وأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً،وإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَهَا أَعْلامٌ، وإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلامٌ، وإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وضُلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً، وأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً، وإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالإِمَامِ الْجَائِرِ، ولَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ ولا عَاذِرٌ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى، ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا، وإِنِّي أَنْشُدُكَ اللَّهَ أَلا تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الأُمَّةِ الْمَقْتُولَ))[٥٥].

أراد الإمام عليه السلام بتوظيف الحديث الشريف المصرّح بنسبته إلى قائله إحداث فعل كلام مؤثر وفاعل في المخاطب عثمان بن عفان لما يحدق به من مخاطر تهدد الإسلام والمسلمين، لذا حاول الإمام عليه السلام أن ينقل الحديث الشريف من دلالته العامّة، إلى دلالة قصدية محددة نحو مخاطب ماثل، وهو يسمع، وعلى نحو غير مباشر، إذ إنه بعد أن وصف الحال وصفاً عاماً، وحاول أن يشخّص مواطن الخلل والتقصير، أوحى له بفعل الحديث الشريف النتائج المترتبة على هذا الخلل، وبتقنية تجعل السامع يراجع كل أفعاله وأقواله التي يكون قد غفل عنها أو خيّل إليه أنه يفعل خلافها على نحو الإيجاب.

فالجديد في الاقتباس كان بنقله الحديث من المستوى العام الذي يشبه فيه القاعدة التي ربما لا تنطبق على أي شيء، ويمكن أن تنطبق على كل شيء.

وقد كان كلام الإمام عليه السلام للخليفة عثمان بصيغة ضمير الغيبة: (شر الناس عند الله إمام جائر ضلّ وضلّ به....) وفيه انتقل من العام إلى المخصص الذي ورد في كلام النبي (الإمام الجائر في يوم القيامة)، هذا الحديث يوحي لعثمان بأنه لا يتمنى أن يكون هو المقصود إذا أخذ بالنصيحة وراجع نفسه وهاب عقاب ربه فيما لو طابق الصورة المحذَّر منها، وكان عثمان اعتماده على طلقاء بني أمية[٥٦] جاعلاً نفسه على شفير هذه الهوّة.

وكذلك يفعل الحديث الشريف في كلام له عليه السلام مميزاً فيه المؤمن من المنافق اعتماداً على علاقته بالمتكلم، قال عليه السلام: ((لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي، ولَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَّاتِهَا عَلَى الْمُنَافِقِ عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي، وذَلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَانْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ:"يَا عَلِيُّ لا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ، ولا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ"))[٥٧].

وبهذا يفعّل الإمام عليه السلام الحديث الذي يسبغ صفة الإيمان على من يحبّ علياً، ويسبغ صفة النفاق على من يبغضه، ليقوّي علاقة أصحابه به، وإنْ كانت مؤلمة، وينفرهم من عدوه وإنْ كانت فيها لذة.

أما الطريقة الثانية فقد وردت اقتباسات كثيرة لم يصرح بها الإمام باسم قائلها منها قوله:((يَا أَيُّهَا النَّاسُ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ، وأَكَلَ قُوتَهُ، واشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ. فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ، والنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ))[٥٨].

اقتبس الإمام حديثين شريفين لم يصرح باسم قائلهما صلى الله عليه وآله وهما قوله صلى الله عليه وآله: ((طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ))[٥٩]، وقوله صلى الله عليه وآله: ((وبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ))[٦٠].

وقد استطاع الإمام بفعل عدم التصريح باسم القائل والجمع بين الحديثين

أن يجعلهما يعبرّان عن موقف جديد له معان جديدة، فالاشتغال بالعيب الذي أكده الحديث الشريف الأول يحتاج إلى تتمة من وجهة نظر الإمام، إذ يحتاج التراجع عن العيب والبكاء عليه كناية عن التأسف لارتكابه وعدم العودة إليه أبدا.

أمّا الأسلوب الثالث الذي وظّفه الإمام في اقتباس الحديث الشريف فهو التصرف بالصياغة النصية الأصل بزيادة أو حذف بحسب ما يقتضيه الموقف والمعاني المستفادة، ومن ذلك قوله: ((وَاللَّه مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي، ولَكِنَّهُ يَغْدِرُ ويَفْجُرُ، ولَوْ لا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ، ولَكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ، وكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ، ولِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، واللَّهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ، ولا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ))[٦١].

وقد اقتبس الإمام هنا حديث الرسول ﷺ: ((لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به))[٦٢]، وذلك بتغيير تركيب الحديث، إذ قدم النبي ﷺ ظرف الزمان (يوم القيامة) على الفعل (يعرف)، لغرض تخصيص هذه المعرفة بهذا اليوم، فيكون يوم القيامة هو يوم معرفة الغادرين عموماً بعلامات مخصوصة، أمّا في حديث الإمام فقد أرجع الكلام إلى أصله، فلا تقديم يحتاج إلى تخصيص يوم عظيم تكشف به الأسرار، ولذلك جاء الظرف (يوم القيامة) للوعيد الذي ينتصر فيه الإيمان على الكفر، والتقوى على الغدر، ما دامت الأمور ترى أنها تجري بغير هذا الاتجاه، وقد يستدرج الله تعالى مثل هؤلاء فيأخذهم من حيث لا يشعرون، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦٣]. وقوله تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦٤].

وربّما ينحرف المعنى إلى الضد وذلك ما ورد في توبيخه قومه: ((الذَّلِيلُ واللَّهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ، ومَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ، إِنَّكُمْ واللَّهِ لَكَثِيرٌ

فِي الْبَاحَاتِ، قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ))[٦٥].

وتوحي هذه الصيغة بقول الرسول صلى الله عليه وآله في مدح أنصاره: ((إنكم ما علمت تكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع))[٦٦].

ويمكن أنْ نقول إنّ الاقتباس بكل أساليبه يعد كلاماً مقصوداً يتوخى فيه القائل دلالة تامة[٦٧] بالقصد الناتج عن تركيب بإسناد بعض الدوال إلى بعض إسنادا أصيلاً، لذلك ينبغي أن يكون أسلوب معرفة كيفية تشكيل هذه الدلالة، أو إنتاجها وإدراكها من شأنها البحث في العلاقات التي تحدد الإمكانات النظمية[٦٨]، أي نسق البحث في العلاقات السياقية Syhtagnation بين العناصر المكونة للتراكيب ودلالاتها.

٢. التضمين:

لا يختلف التضمين عن الاقتباس من حيث الوظيفة الدلالية والجمالية، بيد أن فريقاً من البلاغيين قصروه على الأدب شعرا ونثرا[٦٩]، ولاسيما الذي يتضمن كلمة، أو مثلا سائرا أو معنى عميقا يتوافق والكلام المدرج فيه؛ وذلك ما نجده في نصوص الإمام علي عليه السلام، إذ وظف الإمام الشعر والمثل القديم بأساليب بنائية لا تختلف كثيرا عن أساليب استعمال الاقتباس من حيث التصريح بنسبة النص المضمّن إلى صاحبه، أو عدم التصريح به، أو الحفاظ على صياغته الوحيدة، وربما حدث تغيير فيها غير خاضع للقصد؛لأن التضمين كثيراً ما يحصل في الأمثال الشعرية والنثرية، وقد ذهب أبو هلال العسكري إلى أن الأمثال تضرب على ما جاءت من العرب لا تغيّر صيغتها[٧٠].

وقد جاء استشهاد الإمام عليه السلام بأدب ما قبل الإسلام توشيحاً لنصه بثقافته اللغوية الأولى ومخزونه الدلالي العتيق ليصب في الحقل البياني نفسه.

وما ورد مضمنا من الشعر العربي في كلام الإمام عليه السلام منسوبا إلى أصحابه

قول الإمام عليه السلام: ((وقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِه الْحُكُومَةِ أَمْرِي، ونَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ، فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةِ، والْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ، حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ، وضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ، فَكُنْتُ أَنَا وإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ:

أَمَـــرْتُكُمْ أَمْـــرِي بِمُنْعَـــرَجِ اللِّـــوَى فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلا ضُحَى الْغَدِ))[٧١]

وهنا ضمّن الإمام بيت دريد بن الصمّة ليستحضر به قصة هذا البيت الذي ورد في قصيدة رثى فيها دريد أخاه(عبد الله)، وكان سبب مقتل أخيه، وهزيمة قومه هو فوات فرصة النصح لعصيانهم قائدهم وعدم الإفادة من خبرته في الحياة الاجتماعية والعسكرية، وبعد فوات النصر فاستبان لهم خطأهم، ولات ساعة مندم، فهذه المعاني كلها استحضرها البيت الشعري ؛لذلك جاء التضمين مفيدا للإيجاز وسريعاً للفهم، اعتمادا على ما يحفظه المتلقي لما وراء صيغتها من قصص ومعانٍ كثيرة يوحي بها شكلها الشعري شديد الإيجاز الذي يكثر فيه الحذف ويزيد التكثيف[٧٢].

ومثل ذلك ما ورد في مكان آخر بكتاب للإمام عليه السلام إلى أخيه عقيل بن أبي طالب يقول فيه: ((... لا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً، ولا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً، ولا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ ولَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً، ولا مُقِرّاً لِلضَّيْمِ وَاهِناً، ولا سَلِسَ الزِّمَامِ لِلْقَائِدِ، ولا وَطِيءَ الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْمُتَقَعِّدِ، ولَكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سَلِيمٍ:

فَـــإِنْ تَسْـــأَلِينِي كَيْـــفَ أَنْـــتَ فَـــإِنَّنِي صَـــبُورٌ عَلَـــى رَيْـــبِ الزَّمَـــانِ صَـــلِيبُ

يَعِـــزُّ عَلَـــيَّ أَنْ تُـــرَى بِـــي كَآبَـــةٌ فَيَشْـــمَتَ عَـــادٍ أَوْ يُسَـــاءَ حَبِيـــبُ))[٧٣]

وقد سبق كلا التضمينين تشبيه ورد قبل التصريح باسم القائل، إذ قال عليه السلام: (أنا وإياكم كما قال أخو هوازن ...)، و(كما قال أخو بني سليم...)، فيصبح النص المتضمن جزءا لا يتجزأ من الصورة البيانية التشبيهية

في النص المقتبس(بكسر الباء) وهي صورة تشبيه تمثيلي[٧٤]؛ ذلك أن وجه الشبه منتزع من صورة حركية متعددة الوجوه، وهو استعمال يقوّي علاقة النص المُضمن بسياقه الجديد، فضلا عن علاقة سياق الحال الذي تطلبه الاختيار.

أمّا التقنية الأخرى في تضمين الشعر فلا يصرح الإمام عليه السلام فيها بنسبة المُضّمن(بفتح الميم) إلى قائله ومن ذلك قوله عليه السلام في خطبته المشهورة بالشقشقية، إذ يقول: ((....فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وفِي الْعَيْنِ قَذًى، وفِي الْحَلْقِ شَجًا، أَرَى تُرَاثِي نَهْباً، حَتَّى مَضَى الأوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى ابن الخطاب بعده:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا ... ويَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ))[٧٥]

ضمّن الإمام عليه السلام بيت الأعشى الكبير، أعشى قيس، وحيان وجابر أخوان، وكان حيان صاحب شراب ومعاقرة خمر، فقابل الأعشى بين السفر على كور ناقته في الهاجرة والاستقرار إلى جوار حيان، وهو في سكر الشرب وناعم البال[٧٦].

ولّما كانت هذه المعاني غير مطلوبة في التوظيف لا من قريب ولا من بعيد، فقد اقتضى الموقف حذف القائل والعبارات التشبيهية ليلتحم النص المضمن مع نص المتكلم فيكوّن له معنى مستقلا خاصا، حتى الضمائر التي وردت في البيت تنفصم عن إحالتها السابقة لتشير إلى إحالات معنوية أخر عن طريق توليد صورة يمكن تأويلها على النحو الآتي: إنه عليه السلام يميز بين حاله على كور الخلافة في وقت تسنّمه الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله، وحاله قبلها في عهد الرسول، إذ لا وجود للناقة في النص السابق للتضمين، وفي هذه الحال كان النبي صلى الله عليه وآله حيا، إذ كان الإمام عليه السلام هو الأعلى شأنا من بين الصحابة علما وفضلا وجاها ونسبا، مؤيدا في كل هذا بكلام الذي لا ينطق عن الهوى،

وتأييد الصحابة جميعا، ولكن بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله أصبحت الخلافة كيوم حيان، وقد وصلت الأمور إليه عليه السلام والحال قد فسد، والأمة مشتتة خائرة القوى ضعيفة القيم والمبادئ(٧٧)، وهذه المعاني تخالف معاني الأعشى.

وقد ذكر ابن أبي الحديد تفسيرا للتضمين الذي أراد الإمام علي عليه السلام الكشف عنه بقوله: ((يقول أمير المؤمنين عليه السلام، شتان بين يومي في الخلافة على من انتفض عليَّ من الأمر، ومنيت به من انتشار الحبل واضطراب أركان الخلافة، وبين يوم عمر حين وليها على قاعدة ممهدة وأركان ثابتة، وسكون شامل فانتظم أمره واطرد حاله وسكنت أيامه))(٧٨).

وكلا التأويلين مقبول؛ لأنهما مستمدان من علاقات المتضمن مع النص الجديد بتلك العلاقات القوية التي تفتح المجال للتأويل بتأويلات أخر،ولاسيما إضافة المعاني المقامية التي تركت مفتوحة.

وربما ضمّن الإمام عليه السلام شطر البيت؛ لأنه هو المقصود من التضمين،ومن ذلك قوله عليه السلام من كتاب له من معاوية جواباً:((.... وزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ وعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَتِ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ فَيَكُونَ الْعُذْرُ إِلَيْكَ.

وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا

وَقُلْتَ: إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أُبَايِعَ، وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وأَنْ تَفْضَحَ: فَافْتَضَحْتَ، ومَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِي دِينِهِ ولا مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ .... ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وأَمْرِ عُثْمَانَ، فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ، فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ، وأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ! أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ واسْتَكَفَّهُ، أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى أَتَى قَدَرُهُ

عَلَيْه، كَلا واللَّه لَقَدْ (يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ والْقَائِلِينَ لإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا ولا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلا قَلِيلاً). ومَا كُنْتُ لأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وهِدَايَتِي لَهُ فَرُبَّ مَلُومٍ لا ذَنْبَ لَهُ

وقَــدْ يَسْــتَفِيدُ الظِّنَّــةَ الْمُتَنَصِّــحُ

ومَا أَرَدْتُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ومَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّه عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وإِلَيْهِ أُنِيبُ وذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي ولأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلا السَّيْفُ فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ وبِالسَّيْفِ مُخَوَّفِينَ فَ:

لَبِّــثْ قَلِــيلاً يَلْحَــقِ الْهَيْجَــا حَمَــلْ

فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ ويَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ وأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ والتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ وقَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ وسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وخَالِكَ وجَدِّكَ وأَهْلِكَ ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[٧٩]))[٨٠].

ضمّن الإمام مجموعة من الأبيات الشعرية: ((وتلك شكاة ظاهر عنك عارها))وهو عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي يقول فيه:

وعيّرهــا الواشــون إنّــي أحبّهــا وتلــك شــكاة ظــاهر عنــك عارهــا[٨١]

ويقصد أن هذا الأمر لم يقع على معاوية حتى يعتذر منه، كما هو الأمر مع صاحبة أبي ذؤيب، إذ عيّروها بأنّ أبا ذؤيب يحبّها وهو أمر غير موجود،فهو لا يحبها أصلا.

وضمن أيضا قول الشاعر: ((وقد يستفيد الظنة المتنصح))، والبيت لأكثم بن صيفي يقول فيه:

ألم تعلمـــوا أنّـــي وإنْ قـــلّ شـــكركم لأعراضـــكم واقٍ أحـــوط وامـــدحِ

وكـم سـقت في آثـاركم مـن نصـيحة وقـد يسـتفيد الظنـة المتنصّـحِ[٨٢]

ومعنى البيت أنك إذا بالغت في النصح لصاحبك ظن أنك تريد حظاً لنفسك، وانك إذا بالغت في النصيحة فتأهب للتهمة[٨٣].

وضمّن أيضاً قول الشاعر: ((لبّث قليلاً يلحق الهيجا حمل)).

والبيت لحمل بن بدر وهو شطر من البيت:

لبـث قلـيلاً يلحـق الهيجـا حمـل مـا أحسـن المـوتَ إذا المـوت نـزل

وقيل إنّ أصله أن مالك بن زهير توّعد(حمل بن بدر)،فقال حمل:(لبث قليلاً يلحق الهيجا حمل)،ثم أتى وقتل مالكاً[٨٤].

ضمّن الإمام أشطر الأبيات الثلاثة بجوابه في رسالة إلى معاوية، وسر هذا التضمين بهذه الصورة؛ يكمن في أنّ رسالة معاوية جاءت متضمنة موضوعات مختلفة يتهم بها الإمام عليه السلام بـ(حسد الخلفاء، واتهامه بقتل عثمان، وتخويفه بالسيف)، فجاء التضمين أشطراً مقتطعةً من سياقها النصي والاجتماعي، لتقيم علاقات بنائية وحالية جديدة تؤدي دلالات جديدة، ومن ثم فإن مضمون الرسالة المرسلة إلى الإمام اقتضت إجابتها التنوع في التضمين لأداء دلالات متعددة لكنها تنصهر في بوتقة واحدة.

والتقنية الثالثة في التضمين الشعري من التدخل في صياغته البنائية بزيادة أو حذف أو تقديم أو تأخير بحسب ما يقتضيه الموقف، بحيث يفتقد النص الشعري أهم خصائصه الشعرية في البناء وهما:الوزن والقافية، إذ يتحوّل إلى بناء نثري، ولكن شهرة البيت أو القصة المرتبطة به تدل عليه على الرغم من هذا التدخل.

ومن ذلك قوله عليه السلام في كتاب له إلى عثمان بن حنيف الأنصاري[٨٥]، وهو عامله على البصرة قال فيه: ((.... ولَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، ويَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ، ولَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ ولا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ، أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وأَكْبَادٌ حَرَّى....))[٨٦].

وهذا القول قريب من قول الأعشى:

تبيتون في المشتى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصاً[٨٧]

فلما كان هذا البيت منتمياً إلى غرض الهجاء،فقد حاول الإمام بفعل هذه التقنية الاستعمالية، أن يقتطعه وموضوعياً من سياقه ويغيّر بناءه، وينقل الكلام من صيغته المصاغة بضمير المخاطب إلى ضمير المتكلم، ليجعل دلالة النص متضمنة هجاءً غير مصرح به أو مؤجل، وغير موجهة لشخص ما، بل قدّمه تقديماً عاماً في إشارة إلى تحذير الوالي من أن لا يكون أسوة حسنة يُقتدى بها، فيكون مستحقاً لهذا الذم بلا منازع.

٢. تضمين الأمثال:

وظّف الإمام عليه السلام واحداً من أهم الأنواع النثرية تصويرا،وهو المثل[٨٨]، وقد جاء توظيفه بطريقتين: الأولى طريقة التوظيف المباشر، والأخرى: طريقة التوظيف غير المباشرة.

يقول عليه السلام مستعملاً الطريقة الأولى في التوظيف ذاماً أصحابه وموبخهم: ((أَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ قَوْلِي، حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِيَ سَبَا))[٨٩].

فقد تضمّن نص الإمام مثلاً عربياً هو: ((أيادي سبا))[٩٠] وهو مثل يضرب في شدّة التفرق، وقد ضرب الإمام هذا المثل لتفرق أصحابه وتشتتهم[٩١].

وبذلك جعل الإمام عليه السلام أمام أصحابه صورة حركية ماثلة للتشتت وما يؤول إليه من نتائج، لأن المخاطب قد رسخ في ذهنه وضمن ثقافته هذا المثل وما يرتبط به من عِبَرٍ وحِكَم وقصة ماثلة بكل جزئياتها وتفاصيلها ودقائقها، فتشابه الموقفين يولّد صورة تجعل السامع يراجع نفسه ويتأمل لعله يتراجع عمّا ينوي القيام به من أفعال.

ومن ذلك قوله عليه السلام: ((....واللَّه لَقَدْ رَقَّعْتُ مدْرَعَتِي هَذِه حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، ولَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلاَ تَنْبِذُهَا عَنْكَ ؟ فَقُلْتُ:اعزبْ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى))[٩٢].

فقد ضّمن الإمام مثلاً عربياً:((عند الصباح يحمد القوم السرى))،وهو مَثَل يضرب لمدح محتمل المشقة بأنه سينال الراحة، فأصله أن القوم يسيرون في الليل فيحمدون عاقبة ذلك بقرب المنزل إذا أصبحوا[٩٣].

وقد وظف الإمام هذا المثل مسخرا العبرة المتضمنة فيه، بتحويل الزماني إلى مكاني ـ زماني، وكالآتي:

المثل		كلام الإمام عليه السلام	
الليل/ زماني	مصرّح به	الدنيا / مكاني ـ زماني	غير مصرح به
الصباح/زماني		الآخرة/ مكانيي – زماني يدرك بالتخييل	

فيكون الليل هو دار الدنيا، والجامع بينهما هو العتمة وصعوبة المضي إلى الأمام من دون أن يصاب المرء بأذى؛ لأنها دار البلاء، ويكون (الصباح) هو دار الآخرة، والجامع بينهما هو الوضوح ورؤية الأشياء على حقيقتها وسهولة الانتقال؛ لأنها دار الجزاء.

أمّا الطريقة الأخرى فهي التوظيف غير المباشر، ومن ذلك قوله عليه السلام موبخاً أصحابه لتقاعسهم عن النهوض إلى حرب أهل الشام: ((... كُلَّمَا أَطَلَّ

عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ، وانْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا، والضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا، الذَّلِيلُ واللَّهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ، ومَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ))[٩٤].

وقد تضّمن هذا النص مثلاً عربياً قديما:((رجع بأفوق ناصل))[٩٥]، وهو يضرب لمن استنجد بمن لا ينجده[٩٦].

وقد استبدل الإمام الفعل (رجع) بالفعل (رمى) لأنها أكثر انسجاما مع ما سبقها: (ومن رمى بكم) وبذلك ينصهر النصان ويتداخلان ويتعالقان ويصبحان اشد ارتباطا، ولو بقي المثل على صياغته لما أدى وظيفته الدلالية والجمالية، فضلاً عن ذلك فإنّ لفظة: (رمى) اقتضاها سياق الموقف، فالنص بصدد الاستنهاض والدفاع والتصدي.

وقال عليه السلام من كتاب له بعثه إلى عبد الله بن عباس: ((واعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، ويَوْمٌ عَلَيْكَ))[٩٧]

إذ ضمّنه عليه السلام مثلاً عربياً: ((الدهر ضربان، ضرب بلاء وضرب رخاء))[٩٨].

والفارق بين النصين هو أنّ المثل عبرّ بـ(بلاء) و(رخاء)، أمّا الإمام فعبّر بـ(لك) و(عليك)، ومن ثم نجد أن المثل بدأ بالبلاء (السلبي) وانتهى (بالرخاء) الإيجابي، وأما الإمام فقد عكس المعادلة.

ونجد أنّ (البلاء) و(الرخاء) في المثل لا يعبران عن المعنى الذي أراده الإمام؛ لأنه ينطلق من ثقافة إسلامية قلبت كل المعاني وأعطتها صورتها الحقيقية، فالسعادة والشقاء قلبتا من مفهومهما الحسّي السابق إلى معانٍ عميقة؛ لأنّ الإنسان يجد سعادته في البلاء؛ فهو يصبر رغبة في الطاعة والامتثال، وربما كان الرخاء سبباً في فساده؛ لذلك عدل الإمام عليه السلام عن هذه المعاني التي تنتمي

إلى ثقافة جاهلية للتعبير عن تداول الأيام إلى معانٍ عميقة جسدتها شبه الجملة: (لك) وما تحمل، و(عليك) وما تحمل.

وخلاصة القول إنّ الاقتباس والتضمين لا يؤدّيان أثرهما الجمالي والدلالي[٩٩] إلا عندما يصبحان مكونين من مكونات النصّ الجديد، وذلك بعد انتزاعهما من نصوص أخر أخذت من الثقافة المحيطة أو القادمة من آفاق وأزمنة أخر،بمعنى أنهما يعيدان إنتاج نصوص سابقة أو متزامنة بدمجهما ضمن دائرة أدبية أو أيديولوجية جديدة، وعلى وفق هذه الشروط يُتاح للمنشئ أن يذكر المؤلف المقتبس منه أو لا يذكره، ويُتاح له أيضا أن يبقي النص المقتبس أو المضمّن، محافظا على شكله الأصلي، أو يتصرف بشكله بحدود بحيث لا يفقده هويته البنائية كلها.

المبحث الثاني

التقسيم

هو نوع من أنواع البديع التداولي يخضع لآليات تشحذ الذهن لإيجاد علاقات بين أجزاء الكلام على وفق قواعد منطقية، كعلاقة الكل بالجزء، أو خلاف ذلك، أو أجزاء مجموعة لأجزاء مجموعة أخرى، لتتشاكل معها بروابط دلالية أو منطقية أو غير ذلك.

وتفيد مباحث التقسيم في تشويق المتلقي وتنشيط ذاكرته[١٠٠]، وقد ذكر البلاغيون القدماء ضروبا من هذه الأنواع، فسمي كلّ نوع بحسب نوع العلاقة بين أجزاء الكلام، وأطلقوا على كلّ نوع اسما خاصا به يختلف عن الآخر، باختلاف العلاقات من حيث البساطة والتعقيد، ومن ذلك ما يسمى بـ(التقسيم) وهو مصطلح يختلف عن الذي اقترحته؛ لأن المصطلح المقترح أعمّ يشمل كل الأنواع البديعية الخاضعة لآلية التقسيم.

فمن ذلك قوله عليه السلام في خطبة له لما بويع في المدينة: ((شُغِلَ مَنِ الْجَنَّةُ والنَّارُ أَمَامَهُ: سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا، وطَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا، ومُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَى، الْيَمِينُ والشِّمَالُ مَضَلَّةٌ، والطَّرِيقُ الْوُسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ، عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ، وآثَارُ النُّبُوَّةِ، ومِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّةِ، وإِلَيْهَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ))[١٠١].

هنا قسّم الإمام الناس على ثلاثة أصناف، وهذه التقنية في الاستعمال أطلق عليها الدرس البلاغي القديم اسم(التقسيم)[١٠٢]، إذ جاءت في(ساع سريع نجا)، و(طالب بطيء رجا)، و(مقصر في النار هوى).

ووجه الحصر في هذه الأقسام: إما طالبون لله تعالى، أو تاركون، والطالبون إما بغاية جدهم واجتهادهم للوصول إلى رضوانه، أو البطيء الذي يعمل حسنة لتمحو السيئة[١٠٣]، وهذا يعمل السيئة؛ لأنّه يرجو المغفرة، فهو مخطئ وإن فكر بالجنة وتجنب النار، فهذه ثلاثة أقسام لا مزيد عليها[١٠٤].

وقد عزّز هذه الأقسام تقسيم آخر في: (اليمين، والشمال)، و(الطريق الوسطى)؛ لأنّ صنفا من الناس يزهد في الدنيا وهو غير مرغوب فيه بالإسلام، فهو ينجو من النار، ولكن ثوابه ليس كثيرا؛ لأنّه مقصّر في الدنيا على نفسه وعياله ومجتمعه في البناء والاعمار إلى غير ذلك. وصنفا يقصر همّه على الدنيا ويكدح في طلبها، وهذا أيضا غير محبب.

وتوجد آيات وأحاديث كثيرة بهذا الشأن، فهذا مخطئ وإن فكر بالجنّة وتجنّب النار، والطريق الوسطى هو منهج الإسلام ورد في القرآن الكريم، قال تعالى مثلاً: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[١٠٥]،قال الزمخشري في معنى الأمة الوسط: ((أي كنتم خيارا، وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء، ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث))[١٠٦].

وورد مذهب الوسط في السنة النبوية الشريفة، ذلك أنّ نفرا من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله قال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم،وقال بعضهم: لا أنام على فراش،وقال بعضهم أصوم فلا أفطر، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ((لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني))[١٠٧].

ومنهج الوسط وهو منهج أرسطي قديم أيضا ورد في الفلسفة اليونانية[١٠٨]، وفيه تتوسط جميع قوى النفس بحيث لا تخرج إلى إفراط أو تفريط، أي يتمسك بما هو وسط دائما في جميع أحوالها وأمورها؛ لأنّ الوسط هو - دائماً - الأفضل بحسب رأي المفكرينِ: أرسطو والإمام علي عليه السلام مهتدين إلى الحقيقة نفسها كالآتي:

اليمين	الوسط	الشمال
↓	↓	↓
مضلة	هداية	مضلة

ولعلّ كثرة التقسيمات التي سادت في النص جعلت المتلقي يتأمل هذه المعاني المتقابلة، فيراجع نفسه بغية معرفة مكان وجوده ضمن هذه التقسيمات التي ذكرها الإمام، ويأتي التقسيم الآخر ليحدد طريقة الوصول إلى الأفضل وذلك بتوضيح طريق الهداية من طريق الضلال، والكشف عن الطريق المثلى، والجادة الوسطى من بين الطرائق التي وصفها بالضلال والغواية، وبذلك تكون استجابة المتلقي لهذا النص وتفاعله معه مختلفة باختلاف القسم الذي ينتمي إليه.

ومن ذلك أيضا قوله عليه السلام في خطبة له في ذكر الأنبياء عليهم السلام: ((فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الأَصْلابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الأَرْحَامِ))[١٠٩].

أضاف الإمام عليه السلام: (فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ)، إلى (تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الأَصْلاَبِ) و(وأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ)، إلى (مُطَهَّرَاتِ الأَرْحَامِ) على التعيين، فيكون المتلقي بفعل هذه التقنية الأدائية في حال ملاحقة للأقسام ليلحقها بما يلائمها ويناسبها لإيجاد العلاقات الدلالية بينها.

ومن صور التقسيم ما ورد في قوله عليه السلام: ((يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلاثٍ واثْنَتَيْنِ: صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ، وبُكْمٌ ذَوُو كَلامٍ، وعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ، لا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ولا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلاءِ))[١١٠].

وهنا نلحظ أنّ الأقسام قد جاءت مكثفة في لفظة (ثلاث)المجردة، ومن ثمّ عددها في: (صم ذوو أسماع)، و(بكم ذوو كلام)، و(عمي ذوو أبصار). وفي العدد اثنتين وقد أضاف إليها: (لا أحرار صدق عند اللقاء)، و(لا أخوان ثقة عند البلاء) على الترتيب. وكان القصد من هذا التقسيم هو توبيخهم وتقريعهم، وقد وُظّف هذا الأسلوب التداولي لأداء ذلك؛ لأنّ المتلقي عندما يسمع أن هناك أقساما، يعمل بملاحقة الكلام لمعرفة ما يكشف عنه التعداد والانتقال من العام المجرد: (٣ +٢)، إلى الخاص المشخّص.

ونجد في نصوص كلام الإمام عليه السلام نوعا من التقسيم يشابه هذا الأسلوب من حيث طبيعة العلاقات، ويختلف عنه بأن الإضافة تكون من غير تعيين[١١١]، وقد أطلق البلاغيون على هذا الأسلوب (اللف والنشر)[١١٢]، وهو فن يعرض فيه الغموض[١١٣]، ثقة بأن السامع يرد كلا منه إلى ما هو له.

ومن صور هذا التقسيم قوله عليه السلام لما بويع في المدينة وفيها يخبر الناس بعلمه بما تؤول إليه أحوالهم: ((ولَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ وهَذَا الْيَوْمِ، ألا وإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وخُلِعَتْ لُجُمُهَا، فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ، أَلا وإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ، حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا، فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ، حَقٌّ وبَاطِلٌ ولِكُلٍّ أَهْلٌ...))[١١٤].

جاء اللف في قوله:(إن الخطايا خيل شمس...)،و(إنّ التقوى مطايا ذلل...). وقد نشره في قوله:(حق)،و(باطل) من غير تعيين ثقة بأن السامع يفعل ذلك، وبذلك اختلف عن الأسلوب السابق الذي يفيد بأن يضاف لكلّ واحد من أجزائه ما هو له على التعيين[١١٥]، وكالآتي:

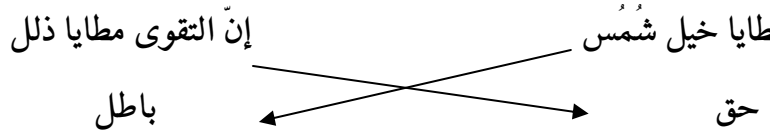

وستكون مهمة المتلقي مع هذا الأسلوب أكثر صعوبة في ربط الأجزاء الملفوفة والمنشورة، ويبرع ـ هنا ـ ذكاء المتلقي في ترتيب الأجزاء بما يلائمها.

ومنه قوله عليه السلام: ((أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ - حِينَ خَلَقَهُمْ -،غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ؛ لأَنَّهُ لا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، ولا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ،فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ، ووَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ))[١١٦].

لما كانت عملية إرجاع ما في النشر إلى ما في اللف توكل إلى فهم السامع للعلاقة بين الطرفين، فإن فهم الدلالات الضمنية تحتاج إلى التأمل وتتبع أجزاء النص ليتسنى فهمها؛ لأنها ترتبت من غير تعيين، وكالآتي:

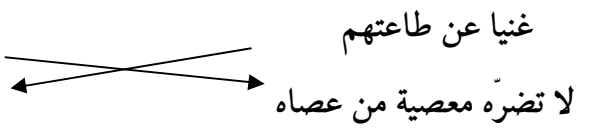

ومن أنواع التقسيم قوله عليه السلام في تهذيب الفقراء: ((وكَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيءُ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ: إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ، وإِمَّا رِزْقَ اللَّهِ، فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ ومَالٍ،ومَعَهُ دِينُهُ وحَسَبُهُ. وإِنَّ الْمَالَ والْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا، والْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الآخِرَةِ، وقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لأَقْوَامٍ))[١١٧].

ورد النوع البديعي المسمى بـ(فن الجمع)[١١٨]، ليجمع بين(المال)، و(البنين) تحت حكم واحد، وهو (حرث الدنيا)، والجمع بين هذه الأشياء التي تنتمي إلى حقول دلالية مختلفة يسهم في تنشيط الذاكرة القريبة والبعيدة، لينمو المعنى الذي يعتمد على علاقات النص، إذ لا يمكن تجزئته، فهو متماسك بهذه العلاقات، ولاسيما أنه سبق بتقسيم آخر في قوله:(إحدى الحسنيين):إما داعي الله... وإما رزق الله، ويظهر ذلك جليا في المخطط الآتي:

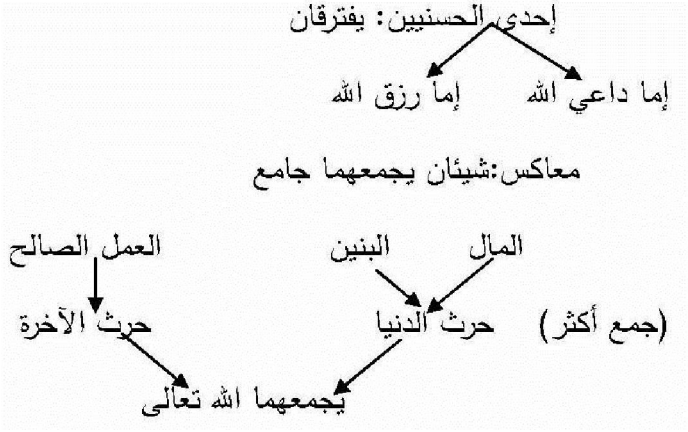

وخلاف الجمع هو(التفريق)[١١٩]، وهنا يبرز ذكاء المتكلم في انتقاء الألفاظ والصورة الواحدة القابلة للتجزئة، والتفريق بينها، لأداء معنى موحٍ، ويبرع المتلقي في تفسير ذلك التفريق بمعرفة الأسباب والغايات.

وقد ورد هذا الأسلوب في قول الإمام علي عليه السلام من خطبة له في أصحابه: ((أَيُّهَا الْقَوْمُ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ،الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، الْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ، صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ، وصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللَّهَ وهُمْ يُطِيعُونَهُ، لَوَدِدْتُ واللَّهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ،وأَعْطَانِي رَجُلاً مِنْهُمْ))[١٢٠].

حصل التفريق الأول في وصف أصحابه عليه السلام بين (الجسد)و(العقل)، فهم شهداء بأبدانهم وغياب بعقولهم. وجاء التفريق الآخر بين الإمام القائد، وأصحابه على الرغم من أنه عليه السلام عبّر عن نفسه بأنه صاحبهم، ولكنهم مفارقون عنه،لأنه يطيع الله تعالى، فهو يمثل الاتجاه الذي يجب أن يتّبع، ولكنّهم يعصونه. وبهذا تكون فكرة النص كلها مبنية على التفريق، فالمتكلم هنا ينتقد هذه الظاهرة أو يعرّض بها ليعريّها؛ لمعرفة أسبابها فهي تثير قلقا وسؤالا: لماذا تجري الأمور بهذا الكيفية وكان من المفروض أن تكون خلاف ذلك؟ أي: إطاعة المطيع لله، وعصيان العاصي لله؛لأنّ المخاطبين يدّعون أنّهم مسلمون مؤمنون. وهذا السؤال يثير الشك بإسلام القوم وإيمانهم، لأنّ النص يتضمّن برهانا عمليا على صحة الإيمان، فمن يعصِ المطيع لله، فهو عاصٍ لله، ومن يطع العاصي لله فهو عاصٍ لله.

وقد ورد هذا الأسلوب في حكمة للإمام عليه السلام: ((غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ،وغَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيمَانٌ))[١٢١]. ففرّق الإمام عليه السلام في صفة معينة وهي صفة(الغَيْرة)، وهي في معناها العام من الصفات المحمودة، ولكنه عليه السلام استطاع أن يرصد زاوية جديدة تستفز السامع، وتدعوه إلى تأمل هذا المعنى إذ أوقع فيها تفريقا بين نسبتها إلى الرجل مرة، والى المرأة مرة أخرى، لأنها عند الرجل فضيلة تستند إلى أساس قدسي(إيمان)، وعند المرأة رذيلة لا تستند إلى أساس أخلاقي، ولهذا أوجب الإمام التفريق بينهما، وفيه نقد لواقع سلوك المرأة الذي يجب تفريقه؛لأنه يخالف سلوك الرجل في هذه الظاهرة النفسية، فيجب ألا يتساويا كمساواتهما في حق التعليم والتجارة وغيرها من الحقوق؛ لأنّ الإسلام ميّزها في الإرث فأعطاها نصف حق الرجل[١٢٢]، ولكنها في (الغَيْرَة) يجب أن تُحرم من نصيبها؛لأنه كفر وليس فيه أي شيء من الحقوق، وقد قدّمت المرأة على الرجل إما للردع، أو لأن غيرتها أكثر من الرجل، أو لاستفزاز ثوابت العرف

الاجتماعي عند المتلقي.

وقد يجمع المتكلم بين (الجمع) و(التفريق) في فن أطلق عليه البلاغيون:(الجمع مع التفريق)[١٢٣]. والجمع بين الأشياء المتباعدة في معنى معين، ومن ثم التفريق بينهما يسبغ على الكلام صفة الغموض الفني،وقد تستغلق دلالته، لحصول خرق في التماسك الدلالي، فهو به حاجة إلى تعاون أكثر من المتلقي في إعادة النسق الدلالي عن طريق التفكر والتأويل.

ومن ذلك قول الإمام علي عليه السلام في إشارة إلى ظلم بني أمية: ((وَاللَّهِ لا يَزَالُونَ حَتَّى لا يَدَعُوا لِلَّهِ مُحَرَّماً إِلا اسْتَحَلُّوهُ، ولا عَقْداً إِلا حَلُّوهُ، وحَتَّى لا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إِلا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ، ونَبَا بِهِ سُوءُ رَعْتِهِمْ، وحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ: بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ، وبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ، وحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ...))[١٢٤].

فجاء الجمع مع التفريق في قوله عليه السلام: (يقوم الباكيان يبكيان: باكٍ يبكي لدينه، وباكٍ يبكي لدنياه) لإعطاء دلالة الشمول في الظلم، ولاسيما أن هذا الشمول سبق بقول يدل على الخراب:(حتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا دخله ظلمهم)، وبيوت المدر: هي البيوت المبنية في القرى والمدن الحضرية، وبيوت الوبر: ما يتخذ في البادية من وبر الإبل كالصوف وشعر المعز[١٢٥]، ويظهر هذا الأسلوب جليا في المخطط الآتي:

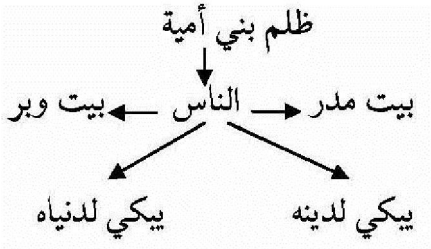

وقد عمل هذا الأسلوب التداولي على استثارة ذهن السامع كيف أن الظلم قد عمّ الجميع؟! ألم تعتمد هذه الفئة على فئة مستفيدة من الحضر أو البدو؟ فيكون الجواب: إنّ هذا لا يحصل إلا عندما يصبح (آل أمية) عصابة متجبرة لا تنتمي إلى طبقة من طبقات المجتمع الإسلامي الذين يكونون إما من أهل الوبر أو من أهل المدر، أو من أهل الدنيا أو من أهل الدين، وإنما شمل ظلمهم كل هذه الفئات المتفرقة ودلّ على شمول الظلم، لهمجية سلوكهم، ولهذا جاء التفريق ليبدد غوامض هذا الاستعمال في تفريق هذا المجموع في: (باكٍ لدينه) بسبب بطلان دينه وفساده، لّما يظهر في الأرض من المنكرات العظيمة، و(باكٍ لدنياه) للظلم والجور بنهب الأموال على غير وجه حق[١٢٦]. وهذا الأسلوب يولد أثرا في المتلقي؛ لأنه يستفزه ويجعله متشوقا لمعرفة المزيد، ذلك أن بناء المعنى في الكلام يبدأ من العام الغامض ثم يفصّل ويخصّص ويبيّن، ولهذا فبناء المعنى يشبه بناء الحوار الآتي:

محاور(١): ظلم بني أمية متفرد.

محاور(٢): كيف؟

محاور(١): يجعل الناس فريقين:فريق يخاف على دنياه، وفريق يخاف على دينه.

ثم يأتي المشبه الذي يراد به الإيضاح، ليكون غامضا أيضا يحتاج إلى تفريق لتتضح دلالته: (كنصرة العبد من سيده):

محاور(٢): وكيف تكون نصرة العبد؟

محاور(١): تكون متفرقة بحسب الموقف، إذا شهد أطاعه، وإذا غاب عصاه.

وربما أكمل المحاور(٢) الكلام بعد إيضاح جزء منه، ليقول: (وإذا غاب عصاه)، وذلك عندما يسرع فهمه فيسابق المعنى لفظه، اعتمادا على معرفة

المتقابلات. وبهذا تحصل لديه حركة شعورية فاعلة تبطئ عند السؤال والجهل بالمعنى الغامض المقول أولا، ثم تسرع عندما يفتح أمامها جزء من الغموض، ويشعر أن المتكلم لم يتمّ الكلام إلا بذكر الضد، والأضداد معروفة من الخبرة الحياتية، ولاسيما عند الأذكياء، إذ تستحضر من الذاكرة لتكون قالبا للجواب.

وقال عليه السلام في حكمة له: ((مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ، وطَالِبُ دُنْيَا))[١٢٧]. جمع الإمام عليه السلام بين طالب العلم، وطالب الدنيا في كلمة (منهومان)، ووجه الشبه بينهما هو عدم الشبع، وطريقة تقديم المعنى تستفز الوعي لجمعه بين أمرين في الظاهر لا جامع بينهما، فلكل منهجه وطريقته وهدفه في الحياة، إلا أنّ الإمام عليه السلامقد استطاع أن يرصد زاوية جديدة غير مألوفة وهي أيضا قائمة على الحوار، فعندما يأتي الكلام: (منهومان لا يشبعان)، يثير السؤال: من هما؟ فيأتي الجواب: طالب علم وطالب دنيا.

ومنه قوله عليه السلام في خطبة له مع الخوارج: ((ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ، ومَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ وضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ، وسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، ومُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ))[١٢٨].

ويبيّن الإمام عليه السلام هنا أن سبب هلاك بعض الناس فيه يرجع لسببين: الأول: المفرط في حبّه له يخرجه عن الحق، كأن يجعله إلها، والمبغض له لخروجه عن الحق بأن ينسبه إلى الكفر[١٢٩]. ويحتاج المتكلم أن يبين موقفه من المتلقي، والمنزلة الاجتماعية لأي منهما من جهة كون ذلك يؤثر في القوة القولية[١٣٠]، وهنا يعبّر الإمام عليه السلام عن ذلك بقوله:(هلك فيّ)، وقد جمع الإمام بينهما، وهو جمع يستفز المتلقي ويدعوه إلى التأمل، لأنه يصدم توقّعه، بما يسميه(ياوس) Guise بأفق الانتظار[١٣١]؛ لأنّ المتلقي يتوقع أن يقال له: فلان وفلان، ولكنه يصدم بشيئين، أولهما: الإعمام بدلا من التخصيص(فلان)، وثانيهما:(هلاك المحب)إيقاع تقابل، ذلك أنه جمع

الأضداد على صعيد واحد،وقد وصف المحبّ والمبغض وصفا مغالياً فيه، فهذا غموض منطقي غير مقبول، لكن المتلقي يحمل كلام الإمام عليه السلام على محمل منطقي، فيتعاون معه ليرجع غير المنطقي إلى شيء منطقي بتأويل مُحبّ غالٍ لمعنى مؤلّه للبشر، وهذا كفر، وهالك في النار.ومبغض قالٍ، مخالف لكثير من الآيات ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾[١٣٢].، وآيات نزلت بحق الإمام[١٣٣]، وأحاديث نبوية كثيرة[١٣٤]، تؤكد قوة إيمان الإمام عليه السلام وأحقيته بالخلافة، وإحكام العدل ورجاحة العقل إلى غير ذلك، فإذا كفّره أحدهم على ما فيه من سمو روحي وأخلاقي، فإنّه كافر هالك في النار.

وقريب من هذا النوع، فن بديعي أطلق عليه البلاغيون (الجمع مع التقسيم)[١٣٥]، وعلاقاته منطقية هي الإعمام والتخصيص، وتنطلق من مركز واحد.

ومنه قوله عليه السلام في خطبة له في ذكر خلق الملائكة: ((ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلا، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلائِكَتِه، مِنْهُمْ سُجُودٌ لا يَرْكَعُونَ، ورُكُوعٌ لا يَنْتَصِبُونَ، وصَافُّونَ لا يَتَزَايَلُونَ، ومُسَبِّحُونَ لا يَسْأَمُونَ، لا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ،ولا سَهْوُ الْعُقُولِ، ولا فَتْرَةُ الأَبْدَانِ، ولا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ. ومِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِه، وأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِه،ومُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِه وأَمْرِه، ومِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لعِبَادِه، والسَّدَنَةُ لأَبْوَابِ جِنَانِه، ومِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ،والْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ، والْخَارِجَةُ مِنَ الأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، والْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ، نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ، مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ، وأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ،لا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، ولا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ، ولا يَحُدُّونَهُ بِالأَمَاكِنِ، ولا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ))[١٣٦].

فإذا أخذنا برأي العلوي الذي يرى أن الأطوار هي أطوار الخلق

المختلفة[١٣٧]، يكون المتكلم قد جمع أموراً كثيرة،أطوار الخلق المختلفة، تحت حكم واحد، ثم قسمها، وقد جاءت بهيأة صورة حركية تتعاضد أجزاؤها في بيان إذعان تلك المخلوقات المختلفة لخالقها وبارئها، وبإزاء ذلك يكون المتلقي قد رصد المختلفات ليجمع أقسامها بقراءة النص قراءة ثانية ليؤوّل دلالاتها الضمنية التي أرادها الإمام عليه السلام.

وقد يجمع المتكلم بين هذه الأنواع كلها في فن أطلق عليه (الجمع مع التفريق والتقسيم)[١٣٨]، ومن المؤكد أنّ الغموض والتعقيد سيزيدان أكثر في بنية النص نظراً لكثرة التفريعات والتقسيمات ومن ثم الجمع بينها، فعلاقته معقدة أكثر، وهذا يتطلب جهداً أكبر يبذله المتلقي من أجل التفاعل والتواصل.

ومن ذلك قول الإمام عليه السلام في بيان قدرة الله تعالى وانفراده بالعظمة وأمر البعث: ((... ودَكَّ بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلالَتِه، ومَخُوفِ سَطْوَتِه، وأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلاقِهِمْ، وجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُهُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا الأَعْمَالِ، وخَبَايَا الأَفْعَالِ وجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلاءِ، وانْتَقَمَ مِنْ هَؤُلاءِ فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِه، وخَلَّدَهُمْ فِي دَارِه، حَيْثُ لا يَظْعَنُ النُّزَّالُ، ولا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ، ولا تَنُوبُهُمُ الأَفْزَاعُ، ولا تَنَالُهُمُ الأَسْقَامُ، ولا تَعْرِضُ لَهُمُ الأَخْطَارُ، ولا تُشْخِصُهُمُ الأَسْفَارُ. وأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ،فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وغَلَّ الأَيْدِيَ إِلَى الأَعْنَاقِ، وقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالأَقْدَامِ،وأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ، ومُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ، فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ،وبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِه، فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ ولَجَبٌ، ولَهَبٌ سَاطِعٌ، وقَصِيفٌ هَائِلٌ، لا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، ولا يُفَادَى أَسِيرُهَا، ولا تُفْصَمُ كُبُولُهَا، لا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى، ولا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى))[١٣٩].

نجد أنّ الأسلوب البديعي قد امتد أثره إلى مساحة كبيرة من النص، وهذا ناتج عن اتساع حركة هذا النوع من التقسيم وعلاقاته المعقدة المستمدة من

إمكان الجمع بين أساليب تداولية متعددة (جمع، مع تفريق مع تقسيم) وهذا يتطلّب من المتلقي جهداً أكبر في ملاحقة النص وقراءته لتأويل دلالته الضمنية.

فالإمام عليه السلام جعلهم فريقين:

الفريق الأول	الفريق الثاني
أنعم على هؤلاء (أهل الطاعة)	انتقم من هؤلاء (أهل المعصية)
أثابهم بجواره خلدهم في داره...إلى غير ذلك	أنزلهم شر دار، وغلّ الأيدي إلى الأعناق إلى غير ذلك

وقال عليه السلام في حكمة له: ((الدَّهْرُ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، ويَوْمٌ عَلَيْكَ، فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلا تَبْطَرْ، وإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ))[١٤٠].

نلحظ أن الأسلوب التداولي قد استوعب النص كلّه ذلك أن المتلقي في حال تفعيل لذاكرته لتبيان علاقات النص المتعددة، والمعقدة (جمع، وتفريق، وتقسيم)، وهذا ما يظهر في المخطط الآتي:

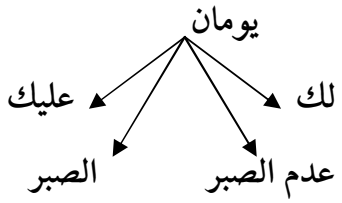

وخلاصة القول: إنّ التقسيم بأشكاله المختلفة عمل على إيجاد العلاقات بين أجزاء الكلام على وفق قواعد منطقية، مما يبعث على تشويق المتلقي وشحذ ذهنه لملاحقة الأجزاء وإعادة تركيبها لتأويل الدلالة المتضمنة فيها.

المبحث الثالث

العكس

وهو أن يُعكس الكلام، فيجعل في الجزء الأخير منه ما جعل في الجزء الأول، كأنّه يدل فيه الأول بالآخر، والآخر بالأول[١٤١].

ويتضح من التعريف أن العكس ذو طبيعة تكرارية فضلاً عن طبيعته التقابلية، ولكنه استطاع أن يفرض وجوده ضمن البديع التداولي بفعل طبيعته البنائية الخاصة، التي لا تخاطب التكوين النفسي للمتلقي كما هو الحال في (التكرار) و(التقابل)، وإنما تخاطب فطنته وذكاءه، وقدرته على الكشف عن الدلالة المتضمنة في النص الذي يُبنى على وفق مبدأ المعاودة الضدية التي اقتضت تكرار ألفاظها، فالنظر الشكلي لخط الدلالة يكشف عن كونها حركة تقدمية، على معنى أن اللغة تنمو وصولاً إلى منطقة دلالية يُحسن الوقوف عندها يصدق على معظم النواتج اللغوية، ولكن التأمل في بنية العكس يؤكد وجود منعطفات أو لنقل إنّها عملية توقف مؤقتة تعدل فيها الصياغة خط سيرها لتجعل خطها مزدوجاً يعتمد على(التقديم والتأخير) الذي تتبادله الدوال المتماثلة، وهو ما يدخله دائرة التكرار؛ لأنّ الذهن يتحرك إلى الأمام، فيدفع الصياغة إلى متابعته ثم يرتد إلى الوراء، فتلاحقه الصياغة أيضاً، وبين التقدم والتراجع تتوافق البنى السطحية، وتتخالف البنى العميقة[١٤٢].

وهذا الأمر يتطلب من المتلقي تعاوناً وتآزراً في تبيان المعنى، وتأويل الدلالة المتضمنة التي لم يقصد المتكلم تكرارها، أو مقابلتها بضدها وإنما قصد منها معنى عميقاً، لا يدرك بسهولة ويسر.

وتحتاج هذه الدلالة المتضمنة في النص إلى جهد المتلقي وتعاونه للكشف عنها، وتأويلها تأويلاً دلالياً وجمالياً.

وقد ورد هذا الأسلوب بنسبة قليلة في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومن ذلك قوله عليه السلام في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل: ((... جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِياً، ضَامِناً لِتَخْلِيصِ مَا الْتَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ، فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ، هَيَّأَ لَهَا حَشْواً رَثًّا مِنْ رَأْيِهِ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ. فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ، لا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ، فَإِنْ أَصَابَ

خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ، وإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ، جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهَالاتٍ، عَاشٍ رَكَّابُ عَشَوَاتٍ، لَمْ يَعَضَّ عَلَى الْعِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ))[١٤٣].

ورد أسلوب العكس في قول الإمام عليه السلام: ((فان أصاب خاف أن يكون أن يكون قد أخطأ، وإنْ أخطأ رجا أن يكون قد أصاب))وكالآتي:

الجملة الشرطية الأولى: فإنْ أصاب خاف أن يكون قد أخطأ

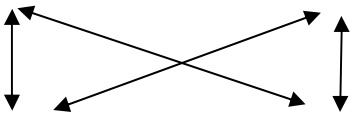

الجملة الشرطية الثانية: وإنْ أخطأ رجا أن يكون قد أصاب

وقد أظهرت بنية العكس أن خطأ الجاهل وصوابه سواء في نفسه؛ لأنه إذا أصاب مصادفة خاف أن يكون قد أخطأ بجهله؛ لأنه ليس بمدرك للصواب، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب لعماه عن أسباب الخطأ وموارده[١٤٤]، وبذلك جسّد العكس في عمقه ازدواج الركيزة الإنتاجية على نحو قريب من التقابل[١٤٥].وتحتاج هذه الدلالة المتضمنة في النص إلى فاعلية المتلقي وتعاونه، للكشف عن مقاصدها وتأويلها تأويلا دلاليا وجماليا. إذ كيف يمكن أن يستوي (الصواب والخطأ) وهما متنافران ومتضادان في اللغة، فقد جاء هذا الاستعمال المخصوص بفعل التقاط زاوية جديدة قد تكون غير مألوفة عند المتلقي تستوي فيها المتضادات وذلك بفعل توحّد المصدر المنتج لهما(الجاهل)، وعلى النحو الآتي:

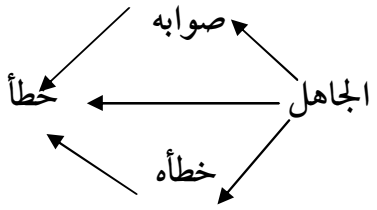

وقال عليه السلام: ((مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلا أَرْوَاحٍ، وأَرْوَاحاً بِلا أَشْبَاحٍ، ونُسَّاكاً بِلا صَلاحٍ، وتُجَّاراً بِلا أَرْبَاحٍ، وأَيْقَاظاً نُوَّماً، وشُهُوداً غُيَّباً، ونَاظِرَةً عَمْيَاءَ، وسَامِعَةً صَمَّاءَ، ونَاطِقَةً بَكْمَاءَ))[١٤٦].

أظهرا بنية العكس أن هؤلاء المخاطبين غير موجودين، أو بمعنى أقرب أن وجودهم وعدمهم سواء:

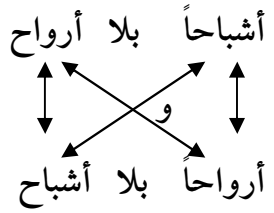

ولكن كيف يكون ذلك والمخاطب ـ كما يتضح من النص ـ ماثل أمامه؟، وهنا تبرع فطنة المتلقي لكشف الدلالة التي أراد الإمام عليه السلام إيصالها إلى السامع أو المتلقي، الذي لم يتركه هكذا، وإنما ترك بعض القرائن اللفظية لتعينه على تأويل الدلالة، وذلك بذكر صفات هؤلاء الناس:

نسّاكاً: بلا صلاح: (شكل من دون مضمون)

تجاراً: بلا أرباح: (شكل من دون مضمون).

أيقاظاً: نؤماً: (شكل من دون مضمون).

شهوداً: غيّباً: (شكل من دون مضمون).

ناظرة: عمياء: (شكل من دون مضمون).

سامعة: صمّاء: (شكل من دون مضمون).

ناطقة: بكماء: (شكل من دون مضمون).

فهذه التفاصيل كشفت أنهم موجودون بأشكالهم (أشباح) غائبون

بأرواحهم. والسؤال الوارد بهذا الشأن، كيف يمكن أن يكونوا أرواحا بلا أشباح؟، وهذه القضية اختلف شرّاح نهج البلاغة في توجيهها؛ فذهب بعضهم[١٤٧] إلى أنّه يعني به نقصهم؛ لأنّ الروح غير ذات الجسد ناقصة عن الاكتمال. وذهب آخرون[١٤٨] إلى أنها كناية عن عدم نهوضهم، أو أنهم خافوا وذهلوا وكانوا كأجسام بلا أرواح، وإذا أمنوا تركوا العناية بأمورهم كأنهم أرواح لا تعلق لها بالأجسام. وقيل إنّه خاطب صنفين من الناس، الأول: شبههم في عدم انتفاعهم بالعقول وعدم تحريك المواعظ والتذكير لهم بالجمادات الخالية من الأرواح، والثاني: (روح بلا شبح)،فهم من له روح، ولا قوة له بأمر الحرب ولا نهضة، فهو روح خلت من بدن.

وقال عليه السلام: ((أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ، وأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا. للَّهِ أَنْتُمْ! أَ تَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ، ويُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ، أَلا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً، وأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً، وَ أَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الأَخْيَارُ، وبَاعُوا قَلِيلاً مِنَ الدُّنْيَا لا يَبْقَى، بِكَثِيرٍ مِنَ الآخِرَةِ لا يَفْنَى))[١٤٩].

جاء العكس في قوله: ((قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً) و(أقبل منها ما كان مدبراً)، كالآتي:

أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً.....(١)

أقبل منها ما كان مدبراً.....(٢)

وقد اختلف شرّاح النهج في تأويل مراد الإمام عليه السلام، فقد ربط العلوي[١٥٠] الإقبال والإدبار بالزمن، فالمقصود بالجملة الأولى أي انقضاء آثار الدنيا ونفاد أيامها، والجملة الأخرى أي ما أقبل من الفتن والمحن، وذهب بعض

الشرّاح[١٥١] إلى ربط النص بحوادث معينة، فالمقصود من هذا العكس، أي إدبار الهدى والرشاد الذي تحقق بمقدم الرسول صلى الله عليه وآله وظهور الإسلام، والإقبال للضلال والفساد باستيلاء معاوية واتباعه على مقدرات المسلمين.

ولم يقتصر توظيف هذا الأسلوب التداولي على الخطب، وإنما ورد في رسائله عليه السلام ووصاياه ومن ذلك وصيته لابنه الحسن عليه السلام كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين: ((.... قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ، بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ، وظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ، إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً، رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً، والدَّاءُ دَوَاءً، ورُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ وغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ))[١٥٢].

ورد العكس في موضعين: ((إذا كان الرفق خرقاً، كان الخرق رفقاً) و(ربما كان الدواء داءً، والداء دواءً).

إذا كان الرفق خرقاً (يعاكس) كان الخرق رفقاً

ربما يكون الدواء داءً (يعاكس) كان الداء دواءً

ونلحظ أن الإمام عليه السلام في هذا الأسلوب قد استوت عنده المتضادات والمتنافرات، بسبب اختيار مواقعها المناسبة لها، ففي المثال الأول، بيّن أن الرفق في بعض المواضع كالخرق في كونه مخلاً بالمصلحة ومسبباً للإفساد، فكان استعمال الخرق في ذلك الموضع كاستعمال الرفق في استلزامه للمصلحة، فكان أولى من الرفق في ذلك الموضع[١٥٣].

وهذا الموقف يعتمد على صورة تناسب الأشياء المعتمدة على خبرة المتلقي وتجاربه الحياتية، وذلك ما لحظه المتنبي في قوله:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضرّ كوضع السيف في موضع الندى[١٥٤]

أمّا استواء الداء والدواء فيعني ((ربما أهلك الدواء الذي ترجى منه صحة الإنسان، وربما كان الشيء الذي يؤلم ويؤذي دواءً مفيداً للصحة، مثل: الكي، وقطع بعض الأعضاء لسلامة الروح))[١٥٥].

ويقول أيضاً في الوصية نفسها موصياً ابنه الحسن عليه السلام: ((..... والصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ، والْهَوَى شَرِيكُ الْعَمَى، ورُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، وقَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ،والْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ))[١٥٦].

فهنا جاء العكس في قوله: (ورب بعيد أقرب من قريب، وقريب أبعد من بعيد).

- بعيد أقرب من قريب.

- قريب أبعد من بعيد.

نلحظ عند التأمل أن النص قد انزاح عن استعماله المألوف للتعبير عن القرب والبعد، وبذلك مثّل العكس: ((إعادة تنظيم العناصر التي تتكون منها الجملة مع الحفاظ على أصواتها وتغيرّ دلالاتها))[١٥٧].

ومن العكس أيضا ما جاء في كتاب له عليه السلام إلى الأشتر النخعي لّما ولاه على مصر وأعمالها: ((..... ولْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ))[١٥٨].

وأراد الإمام أنّ العامة مهما سخطت عليك تغيّر الأمر، ورضا الخاصة لا وقع له مع ذلك، لذهابه عند سخط العامة، وكذلك فإن أهل الخاصة إذا غضبوا فإنه لا يضر مع كون العامة راضين[١٥٩].

ووظف الإمام العكس في الحكم القصيرة، وكان أثر هذا الأسلوب أكثر

فاعلية لقصر الحكمة، ممّا يعني هيمنته على كلّ أجزائه، فمن ذلك قوله عليه السلام: ((مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلاوَةُ الآخِرَةِ، وحَلاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الآخِرَةِ))[١٦٠].

إذ نلحظ هيمنة أسلوب العكس على بنية النص ويمكن تبيانه بالآتي:

مرارة الدنيا × حلاوة الآخرة.

× ×

حلاوة الدنيا × مرارة الآخرة.

وقال عليه السلام: ((الْوَفَاءُ لأَهْلِ الْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ اللَّهِ، والْغَدْرُ بِأَهْلِ الْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ اللَّه))[١٦١].

يبيّن الإمام كيفية التعامل معهما كسلوك متعاكس يؤدي إلى نتائج متعاكسة أيضاً مع السلوك الذي يكون بصددهما والذي رآه المتكلم منطقياً وحكمياً، فقد حقق التفاتة جماليةً لدى المتلقي[١٦٢] عند طريق خيط العلاقة المتحققة على نحو اجتهادي بين شعرية التضاد وبين فاعلية الإطلاق الذي اعتمد الإمام على بثها في النص.

ونجد أن البنية قد اعتمدت على التعليق في إنتاج الدلالة؛ ذلك أنها بنية تركيبية غير معتمدة على التنافي بين الدوال المكررة، بل إنّها تعمل على عقد علاقة تلازم بينهما، مع المغايرة، إذ إنّ اكتمال بنية العكس تشترط أن يكون الطرف الثاني مترتبا على الطرف الأول[١٦٣]، وذلك يقتضي تعديلا في المعنى؛ لأنّ هذا التغاير التركيبي يقتضي - بالضرورة - تغاير الناتج الدلالي.

وخلاصة القول:إنّ أسلوب العكس يحمل دلالة متضمنة لا يمكن كشفها إلا من التأويل، إذ إنه يخاطب ذكاء المتلقي وفطنته للكشف عنها وتأويلها تأويلا دلاليا وجماليا.

المبحث الرابع

أساليب بديعيّة تداوليّة أخر

اشتركت هذه الأساليب بقلّة ورودها في كلام الإمام علي عليه السلام ولكن اجتماعها يؤلف ظاهرة تلفت التنبّه. بإزاء ما وجدته من كثرة تكرار ملحوظ للأساليب البديعية الأخرى.

وبإزاء هذه الندرة في الاستعمال أجدُ مسوغاً علمياً في دراستها تحت (أساليب أخر)، لأنّها تحتاج إلى متلقٍ ذكي لماح فطن، ذي ثقافة عالية، وخبرة عميقة، قادر على ربط المتباعدات والمتنافرات برابط دلالي يجعلها منسجمة مع السياق.

وهذه الصفات لا نحتاجها مجتمعة مع الأنواع السابقة في البديع التداولي: (الاقتباس والتضمين، والتقسيم، والعكس)على الرغم من أن البديع التداولي كله قائم على كفاية المتلقي ذي الصفات السابقة لتحقيق مبدأ التعاون بين طرفي الخطاب(المتكلم، والمتلقي)لتأويل الدلالة الضمنية الإيحائية، إلا أن الأمر هنا مختلف اختلافاً نوعياً.

ولّما كان الإمام عليه السلام يريد أن يوصل أفكاره ومضامينه إلى جمهور المتلقين:(الذكي، والاعتيادي)، (اللماح، وغير اللماح) فلم يعتمد اعتماداً كبيراً على هذه الأساليب البديعية، إلا في مناسبات قليلة، دعا إليها سياق الموقف ومقتضى الحال، لذلك قل حضورها وندر، وهي كالآتي:

١ـ سوق المعلوم مساق غيره:

أطلق عليه بعض البلاغيين مصطلح (تجاهل العارف)[١٦٤] ولم يحبّذ السكاكي تسميته بهذا الاسم، وأطلق عليه مصطلح (سوق المعلوم مساق غيره)[١٦٥] وحدّه: أن تسأل عن شيء تعلمه، موهماً أنك لا تعرفه، وأنّه مما

خالجه الشك فيه، لنكتة كالتوبيخ، أو المبالغة في المدح أو الذم، أو التحقير، أو التأكيد وغيرها(١٦٦).

وقد وظف هذا الأسلوب في إيجاد هذه المعاني البلاغية، اعتماداً على جهد المتلقي وتفسيره، فلا يكفي النص وحده في إنتاج هذه المعاني، وإنما يحصل تعاون بين المتلقي والمتكلم في تحديد الدلالة المتضمنة الذي تطلّبها السياق والموقف.

ومن ذلك ما ورد في قول الإمام عليه السلام في إحدى خطبه في ذكر المكاييل والموازين ومحذراً الناس من الدنيا: ((.... اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ تُبْصِرُ إِلا فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً، أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً، أَوْ بَخِيلاً اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفْراً، أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِه عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْراً، أَيْنَ أَخْيَارُكُمْ وصُلَحَاؤُكُمْ؟ وأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ؟ وسُمَحَاؤُكُمْ؟ وأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ؟ والْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ؟ أَ لَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعاً عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ والْعَاجِلَةِ الْمُنَغِّصَةِ))(١٦٧).

فالإمام عليه السلام بإزاء الانقلاب الذي حدث في الأسس التي أرساها الإسلام وعمل على تطبيقها من العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات، يسخّر هذا الأسلوب التداولي، ليضع مجموعة من الأسئلة المعروفة سلفاً عند المتكلم اعتماداً على خبرته في الحياة، المستفهم عنها استفهام العارف، ليحفّز السامع(الجمهور) في البحث عن إجابة ملائمة لهذا السؤال؛ ذلك أن الصفات التي ذكرها الإمام للمسؤول عنهم: (أخياركم، وصلحاؤكم، وأحراركم، وسمحاؤكم، والمتورعون، والمتنزهون) هي مناقضة للصفات التي جاءت في مفتتح النص(الغني، الكافر، البخيل، المتمرد الذي لا يسمع لأحد)وبذلك يكون السؤال عن الناس المتصفين بتلك الصفات هو سؤال عن أشخاص مجهولين، غير موجودين، واستطاع هذا الاستعمال أن يسلط الضوء على

مجموعة من الرؤى، لاستلهام تلك المبادئ والعمل على تطبيقها، و((لعلهم يرجعون إلى لزوم الأعمال الصالحة، وأراد بالأحرار الكرماء، والمتورعون في مكاسبهم الملازمون للأعمال الجميلة فيها من التقوى والمسالمة وإخراج حقوق الله تعالى، والمتنزهون في مذاهبهم الممتنون عن ولوج أبواب المحرمات والشبهات في مسالكهم وحركاتهم))[١٦٨].

وقد تضمّن السؤال معاني إيحائية، وهي توبيخ المسؤولين وتحقيرهم[١٦٩]: (الغني، والبخيل، والمتمرد على القيم الأخلاقية والاجتماعية التي أقرها الإسلام) ويظهر التحقير في قوله عليه السلام:أين الصلحاء، والجواب: رحلوا عن الدنيا الدنية، بمعنى أنكم لم ترحلوا لتمسككم بالدناءة، ويوحي الرحيل عن الدنيا الدنية بالانتقال إلى رحمة الله وفضله ونعيمه، أما غير الصالحين فباقون فيما ينغص، وإذا رحلوا سينتقلون إلى منغص أخروي وهو النار.قال الإمام عليه السلام: ((فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ، أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ، ومَوْتَاتُ الدُّنْيَا، أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الآخِرَةِ))[١٧٠]. نلحظ أنّ مفاتيح التأويل تكمن في نهاية الكلام، الذي يُعيد شحن بدايته بالمعاني المستنتجة القائمة على التناقض والمقابلة والتضاد العميق لسبر أغوار المعاني النفسية.

وقال عليه السلام في خطبة له في أصحابه: ((أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ،كَلامُكُمْ يُوهِي الصُّمَّ الصِّلابَ، وفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ الأَعْدَاءَ، تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ: كَيْتَ وكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ حِيدِي حِيَادِ! ....أيّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ، ومَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ! الْمَغْرُورُ واللَّهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ، ومَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ واللَّهِ بِالسَّهْمِ الأَخْيَبِ، ومَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ))[١٧١].

وردت في النص مجموعة من الأسئلة الملحة في: (أي دار بعد داركم تمنعون)، و(أي إمام بعدي تقاتلون) ولم تكن فيها رغبة الاستعلام والتعرّف

بقدر ما اختفى وراءها من غاية في التقريع والتوبيخ ((عن تعيين الدار التي ينبغي لهم حمايتها بعد دار الإسلام التي لا نسبة لغيرها إليها في العزة والكرامة عند الله، ووجوب الدفاع عنها والتي هي موطنهم ومحل دولتهم، وكذلك قوله: ومع أي إمام بعدي تقاتلون، وفيه تنبيه لهم على أفضليته وما وثق به من إخلاص نفسه لله في جميع حركاته، وتثبيت لهم على طاعته))[١٧٢]، ولاسيما أن الإمام عليه السلام قد وصفهم وصفاً دقيقاً بـ (كيت وكيت)، وهما عبارتان عن الأحاديث المبهمة، ومراده أنكم في المجالس تذكرون أنكم تفعلون الأفاعيل وتغلبون عدوكم، وتقتلون خصومكم[١٧٣]، وفي (حيدي حياد): وهي كلمة تستعملها العرب عند اشتداد الأمر والفرار منه[١٧٤].

والتناقض بين القول والفعل يحتاج إلى منبّه أسلوبي يستفزهم، ويوضح صورة الخطر الذي أحدق بهم، والحاجة إلى مراجعة أنفسهم، فجاء هذا الأسلوب مؤسساً استفهامياً يدعو المتلقي ليلاحق الإجابة ويقف عندها ليؤوّل دلالاتها الضمنية والإيحائية.

ويعتمد الإمام هذا الأسلوب في خطبة له في ذكر أصحابه ويدعو الناس إلى أن يحذوا حذوهم: ((مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ بِصِفِّينَ أَلا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً، يُسِيغُونَ الْغُصَصَ، وَيَشْرَبُونَ الرَّنْقَ، قَدْ وَاللَّهِ لَقُوا اللَّهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ الأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ. أَيْنَ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ، أَيْنَ عَمَّارٌ، وَأَيْنَ ابْنُ التَّيِّهَانِ، وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ، وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ، وَأُبْرِدَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ))[١٧٥].

تعتمد الدلالات التي ذكرها الإمام عليه السلام على رأب الصدع الحاصل في سياق الكلام، ليعيش النصّ بفعل التداول الاستعمال، الذي لا يتحقق ما لم

يتحقق التواصل بين المرسل والمتلقي[١٧٦].إذ كيف يكون الميت حياً ويتحمل الغصص ويشرب الرنق، فالقضية تحتاج من المتلقي أن يسترجع ثقافته من أجل فك الرموز وتأويل الدلالة التي أراد الإمام توصيلها،ولاسيما ثقافته الدينية التي تؤكد هذه المعاني[١٧٧]، فهو يخاطب المسلمين بمراجعة قرآنهم وتذكر ما نسوه من آياته واستيعابها بوعي لتتحول من خزين الذاكرة إلى واقع السلوك، ثم يتحول بعدها الإمام من العام (أصحابي)إلى الخاص في ذكر الأسماء:(أين عمار) و(أين ابن التيهان) و(أين ذو الشهادتين) و(أين نظراؤهم)، وهذه الأسئلة تجعل المتلقي يبحث عن إجابة، وقوله: (ركبوا الطريق)أي سلكوا طريق الجنة[١٧٨]. فيه دعوة لمتلقي النص أن يستحضر صفات المستفهم عنهم ليعمل موازنة بين سلوكه وسلوك هؤلاء الناس الذين سلكوا طريق الجنة، ليخرج بنتيجة أنه على غير نهجهم وطريقهم، أي يسلك طريق النار.

وبذلك استطاع البديع التداولي أن يستفز ذهن المتلقي، وحثه على التأمل والتفكّر، ولاسيما أنه بذكائه يدرك أن المتكلم لم يقصد السؤال والاستفهام بل قصد دلالات أبعد من ذلك تفهم من السياق.

٢ـ التورية:

وتسمى التوجيه والإيهام والتخييل والمغالطة[١٧٩]، ويراد بها إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين، أحدهما:قريب، والآخر: بعيد، فالسامع يسبق فهمه إلى القريب مع أن المراد هو ذلك البعيد[١٨٠]، فهو يحتاج إلى قراءتين[١٨١]:الأولى (سطحية)أفقيه، والأخرى:(عميقة)عمودية تُستجلى منها الدلالة عن طريق التأويل معتمداً السياق الذي يرجّح المعنى الثاني لا الأول.

ومن ذلك قوله عليه السلام من خطبة له يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض:((...فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَات جَعَلَ سُفْلاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً، وعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً، وسَمْكاً مَرْفُوعاً، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا، ولا دِسَارٍ

يَنْظمُهَا، ثُمَّ زَيَّنَهَا بزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ وأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً، وقَمَراً مُنِيراً، فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وسَقْفٍ سَائِرٍ، ورَقِيمٍ مَائِرٍ))[١٨٢].

فالسراج له معنيان، قريب: ويعني(المصباح الزاهر الذي يسرج بالليل)[١٨٣]، وبعيد: يتطلبه السياق، والمراد به الشمس التي تحوّل الليل إلى نهار بطريق (التورية المبينة)[١٨٤].

والجامع بين المعنيين أنّ كليهما يزيل الظلمة ويُضيء ما حوله[١٨٥] لكن الأول يفتح كوّة فيها، والآخر يزيلها نوعياً ويحوّل الليل إلى نهار، ويبرز ذكاء المتلقي لترجيح المعنى البعيد اعتماداً على خبرته وثقافته فضلاً عن سياق النص الذي يتطلب هذا المعنى.

ومن توريات الإمام عليه السلام ما ورد في جوابه للأشعث بن قيس، وهو على منبر الكوفة يخطب، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه عليك لا لك، فخفض عليه السلام إليه بصره، ثم قال:((مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي. عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ ولَعْنَةُ اللاعِنِينَ، حَائِكٌ ابْنُ حَائِكٍ، مُنَافِقٌ ابْنُ كَافِرٍ.....))[١٨٦].

فقوله: (حائك ابن حائك) تحتمل معنيين: الأول قريب ويعني الصفة المعروفة، والآخر بعيد يراد به الكذاب أو النّمام أو ناقص العقل[١٨٧]، عن طريق (التورية المجردة)[١٨٨]، فالسامع سواء أكان الأشعث أم غيره يتوهم أن الإمام يقصد المعنى القريب؛ لأنّ الأشعث وأباه وكلّ أهل اليمن يُعيّرون بالحياكة[١٨٩]، ولكن موقف الإمام عليه السلام من العمل يجعلنا نؤول كلامه ليصبح تورية، وهذا موقف تداولي يعتمد على ثقافة المتلقي في تأويل الكلام اعتماداً على قرائن مقالية (منافق ابن كافر) وحالية تداولية تتمثل في موقف الإمام عليه السلام من العمل.

وقال عليه السلام من حكمة له: ((مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطَ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ))[١٩٠].

لم ترد (اليد القصيرة) و(اليد الطويلة) بالمعنى القريب الظاهر؛ لأنها أسندت إلى العطاء الذي يؤثّر في معنى اليد بوصفها جارحة، لتصبح رمزاً للكرم وطيب النفس وحب الآخرين ونوال الثناء والثواب الذي يكون أكثر المعاني المرجحة المقصودة لدى الإمام وما عداها فهو تابع لها، وذلك اعتماداً على الثقافة الإسلامية للمخاطب[١٩١]، وهنا يذكر الإمام لازم المعنى القريب المورّى به لتحقيق ما يسمّى بـ(التورية المرشحة)، وسميّت مرشحة لتقويتها بذكر لازم المعنى القريب غير المراد، فإنها تزداد بذكره إيهاما[١٩٢]،ليزداد التأثير في المتلقي عندما ينتقل من المعنى غير المراد القوي الظاهر إلى المعنى الباطن المراد.

٣ـ المبالغة:

هي أن ((يدعي لوصف بلوغه في الشدّة أو الضعف حداً مستحيلاً أو مستبعداً، لئلا يظن أنّه غير متناهٍ في الشدّة أو الضعف))[١٩٣] ووصفها الزركشي بأنها: ((الغاية في الحسن، وأعذب الكلام ما بولغ فيه))[١٩٤].

ويشير التعريف إلى أنّ المبالغة يمكن أن تكون ضمن مباحث علم البيان، ذلك أنّ البيان قائم على المبالغة واستعمال المجاز الذي تزداد قيمة المبالغة فيه كلما جمع بين المتنافرات والمتباعدات، وما يؤكد هذا الأمر أنّ الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد أشار في مواطن كثيرة في حديثه عن مباحث البيان إلى أنها مبالغة في الوصف[١٩٥]، ويبدو أن التورية تستند إلى البيان وتتحول تحولاً نوعياً فتدخل البديع عندما يكون البيان في أعلى صوره، فهو يعطي صورة قوية مؤثرة تخرج الكلام من تداوليات البيان الذي هو حاجة يلتجئ إليها المتكلم باستعمال الخيال لإنتاج مالا يمكن التعبير عنه من المضمون الروحي، وذلك

ما لم تستطع إمكانات اللغة المتاحة التعبير عنه إلا بإنشاء تراكيب جديدة ينتجها الخيال.

وفي المبالغة نخرج من تداوليات البيان باستعمال الإزاحة بطريقتين: اعتماداً على المشابهة (تشبيه، استعارة) والمجاورة: (مجاز، كناية)، وندخل في المبالغة إلى استعمال الأسلوب الأقوى تنافراً في المجاورة بصورة حادة مؤثرة، فيخرج من ميدان البيان(تداول المتكلم)إلى ميدان الجرأة في التعبير المستفز للمتلقي.

ففي قول الإمام عليه السلام في حديثه عن الخوارج: ((أَلا مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الشِّعَارِ فَاقْتُلُوهُ، ولَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِه))[١٩٦]. نجد المبالغة في الاستعمال الكنائي:(كان تحت عمامتي)، إذ كنى الإمام بها عن أقصى القرب من عنايته، أي لو كان ذلك الداعي إلى شعار التفرقة إلى هذا الحدّ من عنايتي به، وقيل: أراد ولو كان ذلك الداعي أنا[١٩٧]. ويبدو أنه قصد المعنى الثاني، وقد قال: (تحت عمامتي)، ولم يقل:أنا دلالة على الخصوصية؛ لأنّها موضع الرأس، والرأس أفضل ما في الإنسان.

وقد صوّر هذا الاستعمال خطورة الموقف الذي يهدد الإسلام،وهذا الأمر تؤديه المرجعية الثقافية الإسلامية للمتلقي، فقد نهت آيات قرآنية كثيرة عن التفرقة[١٩٨]، وفيها دعوة للتوحّد والتآزر، والإمام بإزاء ما يدعو إليه الخوارج من التفرقة يأتي بالمعنى مبالغا فيه؛ لأنّه يمثل خطاً أحمرَ لا يمكن التهاون فيه أو تجاوزه ؛لأنه لا يحتمل النسبية والتدرج.

ومن مبالغات الإمام علي عليه السلام ما ورد في خطبته المشهورة بالخطبة الشقشقية، إذ يقول: ((أَمَا واللَّه لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابن أبي قُحافة وإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَا يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، ولا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً، وطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً...))[١٩٩].

دعا سياق موقف الكلام أن يأتي الإمام بالمعنى مبالغا فيه: (ينحدر عني السيل) و(لا يرقى إليّ الطير)، ليصوّر خطورة الموقف الذي تعرض له الإسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، ولاسيما أنه دعا إلى استكمال تلك الأسس، وخصّها أن تكون في شخصية الإمام عليه السلام[٢٠٠]، وقد بالغ الإمام للكشف عن هذا المعنى، لا لقصد المبالغة، وإنما لتبيان الشخصية التي ينبغي لها أن تخلف الرسول صلى الله عليه وآله وقد وجدها منحصرة في هذا الوصف المتفرّد غير المنطبق على شخصية غير شخصيته عليه السلام؛ لذا كنى عن علوه وشرفه وسعة علمه. واستعار لتلك الكمالات لفظة (السيل)، وكنى بـ(لا يرقى إليّ الطير) عن غاية أخرى من العلو، إذ ليس كل مكان علا بحيث ينحدر عنه السيل وجب ألا يرقى إليه الطير فكان ذلك علوا أزيد[٢٠١] دلالة على تفرّده في خدمة الإسلام نسبا وحسبا.

وقد بالغ الإمام في كلام له، حين تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد،وقدم عليه عاملاه على اليمن وهما عبيد الله بن العباس[٢٠٢]، وسعيد بن نمران[٢٠٣]، لما غلب عليهما بسر بن أبي أرطأة[٢٠٤]، فقام عليه السلام على المنبر ضجرا بتثاقل أصحابه من الجهاد، ومخالفتهم له في الرأي، فقال: ((أُنْبِئْتُ بُسْراً قَدِ اطَّلَعَ الْيَمَنَ، وإِنِّي واللَّهِ لَأَظُنُّ أَنَّ هَؤُلاءِ الْقَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ، وطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ، وبِأَدَائِهِمُ الأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وخِيَانَتِكُمْ، وبِصَلاحِهِمْ فِي بِلادِهِمْ وفَسَادِكُمْ، فَلَوِ ائْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلاقَتِهِ))[٢٠٥].

فالقعب هو الإناء أو القدح مصنوع من خشب[٢٠٦]، وهو يدل على حقارته وقلة ثمنه، وقد سخّر الإمام دلالة هذا الشيء ليبالغ في خيانتهم له بالكناية[٢٠٧]، فالذين يخونون في الأشياء ذات الثمن القليل، أولى أن يخونوا بما هو أكبر منه أو أثمن منه، توبيخا لهم واستخفافا بهمتهم، وقد زادت فاعلية

هذا التوبيخ بفعل التقابل الذي عقده الإمام بإزاء أصحاب معاوية الذي يؤدون الأمانة - (عامة) من دون تخصيص -، إلى صاحبهم، وخيانتكم صاحبكم على الرغم من أنّ صاحبهم على الباطل، وصاحبكم على الحقّ.

٤ـ تشابه الأطراف:

وهو أن ((يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى))[٢٠٨]، وفي هذا الاستعمال البديعي دلالة على قوّة المتكلم وتصرّفه في الكلام، وإطاعة الألفاظ له، ولا يخلو مع ذلك من حسن موقع في السمع والطبع[٢٠٩]، فدلالة النص تبقى غير مكتملة عند المتلقي عند نهاية كلّ فقرة، وهذا يتطلب منه المتابعة النصية أفقيا، والربط الدلالي رأسيا، لأن فقدان أي حلقة من السلسلة الكلامية سيؤدي إلى عدم فهم دلالة النص.

وقد ورد هذا الاستعمال البديعي في قول الإمام عليه السلام: ((الظَّفَرُ بِالْحَزْمِ، والْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ، والرَّأْيُ بِتَحْصِينِ الأَسْرَارِ))[٢١٠].

نجد أنّ هذا الاستعمال التداولي يجعل المتلقي يسأل عند نهاية كلّ فقرة عن التي يأتي بعدها، لارتباطها بها، وهكذا حتى نهاية النص، وبذلك فهي تتفادى توقعات المتلقي ؛لأنها تقوم على مفاجأته بإحداث توافق في الشكل والمضمون في البدء والختام، ومن هذه المفاجآت يحدث الأثر الأسلوبي على المستوى الدلالي والمستوى الصوتي بالتكرار[٢١١]. فالظفر مرتبط بالحزم، والحزم مرتبط بالرأي وهكذا.

ومنه أيضا قول الإمام عليه السلام: ((لَأَنْسُبَنَّ الإِسْلامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي، الإِسْلامُ هُوَ التَّسْلِيمُ، والتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ، والْيَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ، والتَّصْدِيقُ هُوَ الإِقْرَارُ، والإِقْرَارُ هُوَ الأَدَاءُ، والأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ))[٢١٢]. فقول الإمام: (لأنسبنَّ الإسلام نسبة...) يجعل المتلقي يتهيّأ لسماع دلالة مكتملة حول هذا

الموضوع، وسرعان ما يتفاجأ بأن الفقرة الأولى غير تامة المعنى، أو هي عامة تحتاج إلى تفسير، وتفسير هذا العام مرهون بالفقرة التي بعدها، وهكذا حتى نهاية النص:الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين إلى غير ذلك، إذ يظلّ خط المعنى يتحرك[٢١٣] في مساره الأفقي وصولا إلى نقطة الارتكاز في نهاية الفقرة، ثم تنتقل نقطة الارتكاز إلى بداية الفقرة الثانية فيحدث نوع من التلاحم الصياغي والدلالي بهذا الارتكاز المزدوج والموحد على صعيد واحد، لكن يلاحظ أن نقطة الارتكاز الأولى تتوجه فاعليتها إلى ما قبلها، في حين أن فاعلية الثانية تتوجه إلى ما بعدها.

ومن ذلك قوله عليه السلام لبعض أصحابه وقد قيل له إن سِرْتَ يا أمير المؤمنين في هذا الوقت خشيت ألا تظفر بمرادك عن طريق علم النجوم، فقال: ((أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وتَعَلُّمَ النُّجُومِ إِلا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكَهَانَةِ، والْمُنَجِّمُ كَالْكَاهِنِ، والْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ، والسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ، والْكَافِرُ فِي النَّارِ سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ))[٢١٤].

يريد الإمام عليه السلام أنْ يقول إنّ المنجم في النار، وإن الاعتماد على المنجمين لا يغير شيئا؛ لأنّ كلّ شيء هو بيد الله سبحانه وتعالى، لكنه عدل عن الاستعمال المباشر إلى غير المباشر، لغرض الإقناع عن طريق تشابه الأطراف والتدرج في ذكر الصفات المرتبط بعضها ببعض من حيث تشابه الفعل.

٥ـ المذهب الكلامي، وحسن التعليل:

عُرّف المذهب الكلامي أنه إيراد المتكلم حجة لما يدعيه على طريقة المتكلمين[٢١٥]. أمّا حسن التعليل فهو أن تقصد إلى حكم من الأحكام، فتراه مستبعدا من أجل ما اختص به من الغرابة واللطف والإعجاب أو غير ذلك، فتأتي على وجه الاستطراف بصفة مناسبة للتعليل فتدعي كونها علة للحكم لتوهم تحقيقه وتقريره[٢١٦]. وقد فرّق الدرس البلاغي القديم بينهما، وذهب

المحدثون إلى التفريق نفسه بحجة ((أن المذهب الكلامي مبني على سوق الأدلة والعلل وحسن التعليل أيضاً قائم على إيراد التعليلات الحسنة، ولكنهما يختلفان في نوع العلة المساقة فالتعليلات في (المذهب الكلامي) تعليلات حقيقية قائمة على العقل والمنطق (....) أمّا التعليلات في (حسن التعليل) فهي تعليلات خيالية قائمة على التصوير والتخيل))[٢١٧]. ولا يرى الباحث صواباً في هذا التفريق، إذ إنّ تعليلات المذهب الكلامي لا تخلو من الحسن وقصد الجمال، ولا تخلو تعليلات حسن التعليل من منطق وهذا ما يراه السيوطي (ت٩١١هـ) إذ قال: ((فإنْ قلت: إنّ هذا النوع **[المذهب الكلامي]** ليس من البديع؛ لأنّه يخلو من تحسين معنى الكلام المقصود، بل المعنى المقصود هو منطوق اللفظ، فالإتيان بهذا الدليل هو المقصود، فهو تطبيق على مقتضى الحال فيكون من المعاني[٢١٨] لا من البديع.قلت: إخراج الكلام في المحاورة على غير توقع، وإبرازه في صورة المقاصد العلمية فيه زائد على أصل تأدية المراد فلابد أن يكون موجباً للتحسين من هذه الجهة))[٢١٩].

ولذلك يمكن جمعهما؛ لأنّ المشتركات بينهما أكثر وأبرز من المختلفات، فكلاهما أسلوب تداولي يعتمد على إيراد العلة الحسنة الإيحائية المؤثرة عند ورودهما في الكلام البليغ؛ لأنّ القضايا المنطقية في نصّ بلاغي لم تأتِ بأسلوب رياضي رمزي مجرد.

فمن المذهب الكلامي قوله عليه السلام في حادثة قتل الخليفة عثمان بن عفان: ((لَوْ أَمَرْتُ بِه لَكُنْتُ قَاتلاً، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً، غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، ومَنْ خَذَلَهُ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، وأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ، اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الأَثَرَةَ، وجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الْجَزَعَ، ولِلَّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ والْجَازِعِ))[٢٢٠].

أورد الإمام عليه السلام كلامه على طريقة أهل الكلام في دفع التهمة التي وجهها

إليه معاوية، بما سولت له نفسه، وقد عبّرت هذه الصفة الكلامية عن الملابسات والتعقيدات التي تخللت هذه الحادثة وذلك يجعل المتلقي يفرز تصوراً لصعوبة هذا الموقف الذي يرجعه الإمام عليه السلام في نهاية الأمر إلى الله تعالى في: (لله الحكم).

ومنه - أيضاً - في كلام له عليه السلام يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك يدعوه للدخول في البيعة ثانية: ((يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِه ولَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِه، فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ، وادَّعَى الْوَلِيجَةَ، فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ، وإلا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ))[٢٢١].

إنّ ما وصفه الإمام من سلوك مزدوج (يظهر شيئاً ويستبطن آخر) جعله يورد كلامه على طريقة أهل الكلام بما تتصف من غموض وتعقيد فني، وهو بذلك قد لاءم مقتضى الحال وسياق الموقف الذي تطلّب ذلك، إشارة إلى اتحاد المباح عنه باليد واللسان(الجوارح)مع ما أضمر في القلب، لأنّ موقف البيعة لا يستلزم التفريق بينهما كالذي حصل لعمار بن ياسر(رض) عندما آمن بالأصنام عند تعذيبه، ونزلت به الآية: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ...﴾[٢٢٢]. أمّا موقف الزبير فلم يكن كذلك، إنما بايع مختاراً وليس مكرهاً، لذا استعمل الإمام المذهب الكلامي لبرهان التفريق بين إقرار الجارحة ونكران الضمير، كأن يكون تحت تأثير التهديد، وهذا لم يحصل تاريخياً، إذن هذا يوجب عليه البيعة، أو فليأت بدليل على مخالفة الموقف النفسي وهذا محال، وفي كلتا الحالين يكون الإمام عليه السلام قد احتج عليه.

ومن (حسن التعليل) قوله عليه السلام في ذمّ الدنيا: ((وأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ، ولَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ،قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وغَرَّتْ بِزِينَتِهَا، دَارُهَا هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا، فَخَلَطَ حَلالَهَا بِحَرَامِهَا، وخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا، وحُلْوَهَا بِمُرِّهَا، لَمْ يُصْفِهَا اللَّهُ تَعَالَى لأَوْلِيَائِهِ، ولَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ.....))[٢٢٣].

قدم الإمام هنا تعليلاً حسناً لهوان الدنيا عند الله سبحانه تعالى، إذ خلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها، وحياتها بموتها وحلوها بمرّها، وحقيقة أن هذه التعليلات معبرة عن تجربة معيشة ملموسة[٢٢٤]، بل تعبر عن حقيقة التناقض في الحياة، ولكن على سبيل النكتة البلاغية،إثارة لخيال السامع.

٦ـ المشاكلة:

وهي أن ((تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته))[٢٢٥]، ويقوم هذا الأسلوب على فكرة المخادعة[٢٢٦]، لأنّ السامع أو المتلقي يتوهّم أنّ المعنى الثاني هو الأول، فإذا فكر وتأمل علم أنّه غيره[٢٢٧]، ويحصل الخرق الدلالي في أن المتكلم يريد المعنى الثاني لا الأول، وهنا تبرع فطنة المتلقي - بالاعتماد على السياق والثقافة اللغوية - في ترجيح هذا المعنى من دون غيره.

ومن ذلك قوله عليه السلام: ((اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ، واسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ، وأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ. إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وإِنْ ضَحِكُوا، ويَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وإِنْ فَرِحُوا، ويَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وإِنِ اغْتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا))[٢٢٨].

وردت المشاكلة في: (واسألوه من أداء حقه كما سألكم) فالله سبحانه وتعالى مُنزّه عن السؤال، وإنما ذكرها لوقوعها في صحبة(وأسالوه).وبذلك يكون المتلقي بين سؤالين، سؤال حقيقي في طلب العون والتوفيق والسداد، وسؤال غير حقيقي أي كما ألزمهم وافترض عليهم[٢٢٩]. فالسؤال هنا أمر تفصيلي موضّح من الله تعالى بما أراد أن يكون عليه العبد ليرتقي إلى مستوى المسؤولية، وهذا يثير التأمل والتفكير فيما أمر به الله تعالى عبده، وتكمن مفاجأة المتلقي في أن هذا الأسلوب تكون حركة اللسان فيه أسرع من حركة الذهن على خلاف المألوف في إنتاج الكلام عموماً، فالعدول هنا خروج على عدة مستويات ينتهي إلى أن تأتي الدلالة من غير مصدرها اللغوي من دون أن

يكون في ذلك تفكيك للعلاقة بين الشكل ومضمون[٢٣٠]، ويدعو هذا الخرق المتلقي إلى أن يعيد قراءة النص عمودياً لتبيان المفارقة لدلالية التي حصلت في بنية النص والأثر الدلالي الذي حققته فيه.

ومن ذلك أيضا قوله عليه السلام في حثّ أصحابه على القتال: ((وايْمُ اللَّه لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ، لا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الآخِرَةِ، وأَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ، والسَّنَامُ الأَعْظَم))[٢٣١].

فـ(سيف العاجلة) كناية عن المنية في الدنيا بأي شكل من الأشكال، وبـ(سيف الآخرة) عقاب الله تعالى في الآخرة على الفرار من الموت[٢٣٢]، ولفظة (سيف) الثانية جاءت متشاكلة للفظة (سيف) الأولى، وقد أعطت صورة حسية لمتلقي النص؛ لأن المشاكلة تعتمد على حركة الذهن في الربط بين الدوال في السطح، والمدلولات في العمق؛ لأنها لا تتحقق إلا بالمصاحبة التي تنتج من التماس الواقع بين الدوال، ويؤدي الخيال مهمته في تحقيق المصاحبة التماثلية والضدية على صعيد واحد[٢٣٣]، في الوقت الذي أفاد التشاكل في نص الإمام عليه السلام في توبيخ المخاطب والاستخفاف بموقفه من الجهاد جبنا أو اتقاءً للموت، فوضعه بين سيفين ليختار السيف الأول لينجو من عذاب الآخرة، أي التضحية والجهاد لنيل الثواب، ومثل ذلك ما ورد في قوله عليه السلام: ((فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ، ومَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الآخِرَةِ.))[٢٣٤].

٧ـ الاستخدام:

وهو أن ((يراد بلفظ له معنيان: أحدهما ثم يراد بضميره الآخر، أو يُراد بأحد ضميريه أحدهما ثم يراد بالآخر الآخر))[٢٣٥]. ولاشك في أن هذا الاستعمال يسبغ على النص غموضا وتعقيدا دلاليا، فالمتكلم بعد أن وجّه اللفظة ـ بفعل السياق ـ باتجاه معين، يعدل عنها في الضمير إلى دلالة أخرى

تحتملها، وبذلك يكون بين معنيين ؛الأول: للفظ الصريح، والآخر للضمير العائد عليه.

وقد ورد الاستخدام في كلام الإمام علي عليه السلام عند ذكر بيعة عمرو بن العاص لمعاوية: ((وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَناً، فَلا ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ، وخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ، فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا، وأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا، فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا، وعَلا سَنَاهَا، واسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ، فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ))[٢٣٦].

عادت الضمائر في (أهبتها) و(لها) و(عدّتها) على الحرب، بمعناها الحقيقي، في حين عاد الضميران في (لظاها)، و(سناها) على النار بمعناها المجازي، أي نار الحرب، إذ ((استعار لفظ اللظى والسنا عن أمارات الحرب لكون كلّ منهما علاقة لما فيه مظنة الهلاك))[٢٣٧]. وهذه الإزاحة في الاستعمال بين الحقيقة والمجاز يجعل المتلقي بين حالين، حال الاستعداد للحرب، وحال تخيل صورة الحرب، وما أسبغته لفظتا: (لظاها) و(سناها) من صورة حسية تكشف عن هول المعركة وحاجة الاستعداد لها،ماديا ونفسيا.

ومن صور الاستخدام أيضا ما ورد في قول الإمام عليه السلام: ((وخَلَقَ الآجَالَ فَأَطَالَهَا،وقَصَّرَهَا، وقَدَّمَهَا وأَخَّرَهَا، ووَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا...))[٢٣٨].

يراد بالأجل مدة الشيء، وكذلك غاية الوقت في الموت[٢٣٩]، فقد عاد الضميران في (أطالها) و(قصرها) على المعنى الأول، وعاد الضميران في (قدّمها) و(أخرها) على المعنى الآخر. ففي قوله: (أطالها) و(قصرها) أي ببلوغ سن الهرم، وتقصيرها بلبث ساعة في الدنيا، ثم ما بين الأمرين أعمار مختلفة، وفي قوله: (قدّمها) و(أخرّها) فهذا يموت قبل هذا، وهذا يعيش بعد هذا[٢٤٠].

وخلاصة القول: إنّ هذه الأساليب التداولية المختلفة، قد اشتركت بسمة مركزية وهي قلة ورودها في كلام الإمام علي عليه السلام بشكل لافت؛ لأنها تحتاج إلى متلقٍ ذكي لّماح فطن ذي ثقافة عالية وخبرة عميقة على الاستنتاج والتأويل.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة العلمية الجادة في آفاق بديع كلام الإمام أمير المؤمنين للإمام علي عليه السلام خلصتُ إلى جملة من النتائج تكمن في الآتي:

١- اتضحت ثمرة استعمال المنهج السيميائي التداولي في الكشف عن الأثر الجمالي الذي توحي به ظواهر البديع، وتبيان دلالاتها في نصوص الإمام عليه السلام، ذلك أن المعاني الإيحائية من ناحية تداولية تعدّ مكونا من مكونات النص، ولا تعدّ محسنا ينظر إليه وكأنه عنصر مضاف لا يضرّ حذفه، ولكن تفيد إضافته بزيادة رونق جديد للكلام.

٢- وسّع المنهج السيميائي التداولي من مفهوم المقام الذي كان محدودا بظروف الكلام وأحوال المتخاطبين المحيطة لحظة إنتاج النص، ليصبح مشتملا على المقامات الأخر كالمقام التاريخي أو الثقافي أو الحضاري أو الجمالي وغيرها، وهذا التوسيع فسح المجال لاستنباط معانٍ جديدة في بديع كلام الإمام عليه السلام يكون فيها المتلقي نشطا ذهنيا ومشاركا في إنتاج المعاني المقامية للمتكلمين ومعتقداتهم من فحوى مضمون الجملة، فضلا عن الكشف عن مقاصد منشئ النص وأغراضه،كأن يكون موبخا أو ساخرا أو ضجرا إلى غير ذلك من الأفعال الإنجازية.

٣- تجلت الوظيفة الدلالية الإيحائية لأساليب البديع في تقوية المعنى،وهو ما يؤلف ظلا له، بفعل إيجاد العلاقات اللفظية بين مستويات النص

المختلفة، أما الوظيفة الجمالية، فقد ظهرت بفعل ما أوجدته هذه المباحث من تناسب بين الأجزاء بما يؤلف إيقاعا وموسيقا مؤثرة في النفس الإنسانية.

٤- تميّز البديع التداولي في نصوص الإمام عليه السلام،بأنه يخاطب ذكاء المتلقي وثقافته وخبرته الجمالية، لذا كان له الأثر الكبير في إنتاج المعنى التأويلي، الذي يكون فيه المتلقي مشاركا فعّالا في إنتاج المعنى، استنادا إلى مبدأ التعاون أو التآزر الذي صاغه (غرايس) في الدراسات التداولية، الذي يعتمد على تضافر مكونين:أحدهما لساني، والآخر بلاغي. ويضطلع الأول بمهمة تحديد الدلالة، ويضطلع الآخر بمهمة ربط الدلالة بظروف التخاطب والسياق المقامي لتحديد المعنى. وهذا ما تجلى في نصوص الإمام عليه السلام في الاقتباس والتضمين مثلا، إذ تكمن الحكمة فيهما في عملية التوظيف الفني الذي يأتي مستجيبا لمقتضى العلاقة بين طرفي الخطاب، ليحقق فعل كلام يولد فهما جديدا لا يعتمد على معانٍ راسخة مسبقة، إذ يرجئ معاني التعبيرات المألوفة والاستعمال الاعتيادي ليرينا الأشياء جديدة كأننا نراها أول وهلة، تفجأ المتلقي وتملأ وعيه بالمعاني نتيجة نقل المقتبس أو المضمن من سياقه المقامي النظري الافتراضي، إلى سياق يجمع طرفي الخطاب على صعيد واحد، سواء أكان النص المُوظف قرآنا كريما أم حديثا شريفا أم شعرا أم نثرا. وسواء صُرّح باسم قائله أم لم يُصرّح، أو نقل بلفظه، أو تصرّف المتكلم ببنيته الشكلية. لذا يمكن تسمية هذا التوظيف بتفعيل النص، أقصد النص المأخوذ.

وكذلك الحال في مبحث التقسيم، إذ يعمل على تشويق المتلقي وتنشيط ذاكرته لمتابعة ربط كل قسم بقسيمه أو فروعه بحسب نوع العلاقة بين أجزاء

الكلام، مؤديا بذلك وظائف دلالية وجمالية ضمنية يمكن كشفها من التأمل العميق والتأويل الدقيق، باستحسان علاقات النص المتشابكة، تشابكا متوازيا بسيطا مرة يسهل رصده، ومعقدا تعقيدا فنيا مرة أخرى يصعب رصده إلا بشحذ الذهن وتنشيط الذاكرة، إلا أنه في كلّ الأحوال يجعل متلقي النص منتجا للمعنى.

هوامش البحث

(١) يتضح ذلك في تعريف البلاغة بعنايتها بمقتضى الحال وسياق الموقف، وبذلك تكون البلاغة تداولية في صميمها، ذلك أن التداولية تعرّف في أبسط صورها بأنها مراعاة العلاقة بين مستعملي اللغة: متكلم + متلقٍ+ السياق الكلامي أو ظروف الكلام، ولذلك تتفق البلاغة والتداولية في اعتمادها اللغة بوصفها أداة لممارسة الفعل على المتلقي. ظ: بلاغة الخطاب وعلم النص: ٩٧-٩٨، التداولية عند العلماء العرب:٦، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية:٦.

(٢) ظ: بلاغة الخطاب وعلم النص:٢٥١، في اللسانيات التداولية:١٥٤.

(٣)جاء في الأثر أن الكندي سأل أبا العباس المبرد، قائلاً: إني أجد في كلام العرب حشواً، إذ يقولون: عبد الله قائم، ثم يقولون: إنّ عبد الله قائم، ثم يقولون:إنّ عبد الله لقائم، والمعنى واحد، فأجابه المبرد:بل المعاني مختلفة، فقولهم: عبد الله قائم إخبار عن قيامه، وقولهم: إنّ عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل، وقولهم: إنّ عبد لقائم جواب عن إنكار منكر قيامه. ظ: مفتاح العلوم:١٧١.

(٤) ظ: اللغة العربية معناها ومبناها:٦٩، المعنى وظلال المعنى:٣٤٨.

(٥) ظ:الخيال الرمزي:٨-٩، المقولات البلاغية،دراسة مقامية براجماتية، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة:٥٦٧.

(٦) ورد هذا الرأي في قوله:((إنّ حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ؛ لأنّ المعاني مبسوطة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصودة معدودة، ومحصلة محدودة)).البيان والتبيين:٧٦/١.

(٧) ظ:المقولات البلاغية، دراسة مقامية براجماتية، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة:٥٨٤.

(٨) ظ: أسرار البلاغة:١٢،المقولات البلاغية، دراسة مقامية براجماتية، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة:٥٨٤.

(٩) قواعد مبدأ التعاون هي:

أ- مبدأ الكم: قل الضروري من غير نقص أو زيادة.

ب ـ قاعدة الكيف: قل ما ينبغي بأحسن وجه بلا كذب أو رياء.

ج ـ قاعدة العلاقة(الإفادة): قل ما يتطلبه المقام أو الموقف.

د ـ قاعدة وضوح الأسلوب: تجنب الغموض والإجمال مراعاة للترتيب.

ظ: التداولية من أوستن إلى غوفمان:٨٤، ونظرية علم الدلالة،السيمانطيقا:١٠٣.

(١٠) ميز بعض الباحثين أربعة اتجاهات سيميائية هي: سيمياء التواصل، وسيمياء الدلالة، وسيمياء الثقافة، وسيمياء المعنى، أو السيميائية التداولية التي تخطت المظهر التواصلي اللساني الذي يعتمد المظاهر الجزئية انتقالاً إلى المظاهر العامة، ومنها المظهر الدلالي؛ لان العلامات التي تستعمل في التواصل هي جزء من العلامات الدالة والعلامات الدالة، جزء من نطاق الثقافة بوصفها العلامة الشاملة، أي النص الشامل، أما المعنى فهو خاصية كونية توجد في جميع العلامات المجسدة منها والمجردة الكائنة والممكنة.ظ: معجم السيميائيات:٨٥، ٩١-٩٢، ٩٧-٩٨، السيمياء العامة وسيمياء الأدب:٦٥-٩٦.

(١١) ظ: مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية:١٠،معجم السيميائيات:٢٣٥.

(١٢) ظ: النقد الجمالي في النقد اللساني(بحث):١٩٨،ما التداوليات ضمن كتاب التداوليات،علم استعمال اللغة:٢٤.

(١٣) سورة الانفطار:٦-٧.

(١٤) ظ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٥/٤٤٦-٤٤٧.

(١٥) م.ن:٥/٤٤٦-٤٤٧.

(١٦) ظ: الأذكياء:١٨٣-٢٠٤.

(١٧) ظ: المستطرف في كل فن مستظرف:١/٨٣ وما بعدها.

(١٨) م.ن:١/٨٦.

(١٩) عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا، فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب، فقال: أما ما ذكرت ثلاثا قالهنّ له رسول الله ﷺ فلن أسبّه؟ لأن تكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له، وقد خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله ﷺ:

((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي))، وسمعته يقول يوم خيبر:((لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله))قال: فتطاولنا لها، فقال:((أدعو إليّ عليا))فأتيَ به أرمد فبصق في عينيه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه. ولما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ آل عمران:٦١، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، فقال: ((اللهمّ هؤلاء أهلي)). صحيح مسلم: ١٨٧١/٤.

(٢٠) ظ: المستطرف في كل فن مستظرف:٨٦.

(٢١) يستدل على ذلك ـ مثلا ـ من قول الرسول صلى الله عليه وآله لعمار بن ياسر(رض):((تقتلك الفئة الباغية))، فوجود عمار بن ياسر (رض)إلى جانب الإمام علي عليه السلام في الحرب يمثل جانبا من معرفة الباغي والمبغي عليه.ظ:مسند أحمد:٣٠٦/٥.

(٢٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ سورة البقرة:١١٣.

(٢٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ سورة التغابن:١٥.

(٢٤) ظ: طبقات الشافعية: ٢٠٣/٢.

(٢٥) ظ: النص والسياق،(بحث):٣٦.

(٢٦) ظ: نحو نظرية أسلوبية لسانية:١٢١، التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث:٣١٨

(٢٧) ظ: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،أسس نحو النص:٧٠/١

(٢٨) سورة آل عمران:١٤٤.

(٢٩) تاريخ الطبري(تاريخ الأمم والملوك):٤٤٢/٢.

(٣٠) مسند أحمد:٣٩٩/٦،ظ: المعجم الكبير:٢٤/٢٢.

(٣١) ديوان أبي نواس:٦.

(٣٢) ظ: نهاية الإيجاز:٢٨٨، حسن التوسل في صناعة الترسل:٣٢٣، الإتقان في علوم القرآن:٣٨٦/١.

(٣٣) سورة القصص:٨٣.

(٣٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٢٠٠/١.

عُرف الضبع؛ ثخين يضرب به المثل في الازدحام، وربيضة الغنم: أي القطعة الرابضة من الغنم.

(٣٥) سورة القصص:٤.

(٣٦) سورة القصص:٧٧.

(٣٧) ظ:الميزان في تفسير القرآن:٣٩٢/١.

(٣٨) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٤٨/١٨، و٣١٤/١٩، وترد فيهما الآية(٢٨) من سورة الأنفال، والآية (٩٩) من سورة الأعراف. وغيرهما .

(٣٩) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي،أبو عبد الله الأنصاري،خطيب وشاعر، شهد صفين مع معاوية بعد أن وجهته عائشة(رض) إلى الشام بقميص الخليفة عثمان بن عفان،ولي اليمن لمعاوية ثم ولاه حمص إلى أن مات يزيد بن معاوية فبايع لابن الزبير، قتل بعد أن خرج هاربا من تمرد أهل حمص عام ٦٥هـ.ظ: أسد الغابة في معرفة الصحابة:٢٢٠/٥.

(٤٠) عين التمر: بلدة صغيرة قريبة من الأنبار منها يجلب التمر إلى سائر البلاد، وهو بها كثير من المدن القديمة فتحت في أيام الخليفة أبي بكر على يد خالد بن الوليد، عام ١٢هـ، ومازالت هذه المدينة عامرة.ظ: معجم البلدان:٣٦٩/٦.

(٤١) سورة الأنفال:٦.

(٤٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٣٠٠/٢.الجرجرة:صوت يردده البعير في حنجرته، وأكثر ذلك عند الإعياء والتعب، والجمل الأسر: الذي بكركته دبرة، والكركرة: زور البعير، والدبرة: قرحة الدابة، والنضو: البعير المهزول، والأدبر:الذي به دَبَرٌ، وهو المعقور من القتب وغيره.

(٤٣) سورة الأنفال:٥.

(٤٤) ظ:مجمع البيان:٤٣٠/٤، الكشاف:١٩٠/٢-١٩١.

(٤٥) سورة يوسف:٨٧.

(٤٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٣١٤/١٩.

(٤٧) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٣٠٠/٢و ٣٤٦/٦،و١٤٣/١٥. وردت فيها الآية (٦) من سورة الأنفال، والآية (٢١) من سورة ق، والآية (٢٢) من سورة النور.

(٤٨) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٢٢٢/٩.

(٤٩) سورة البقرة:٢٥٥.

(٥٠) سورة الأنعام:١٠٣.

(٥١) سورة الرحمن:٤١.

(٥٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٦٤/١٠.

(٥٣) م.ن:٢٥٥/١٨.

(٥٤) سورة البقرة:١٥٦.

(٥٥) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد:٢٦١/٩-٢٦٢.

(٥٦) ظ: تاريخ اليعقوبي:١٥٠-١٦٠.

(٥٧) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٧٣/١٨.

(٥٨) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٨٠/٩
(٥٩) كنز العمال: ١٢٥/١٦.
(٦٠) م.ن:٨٢٧/١٥، والحديث كاملاً:((طوبى لمن ملك لسانه ووسع بيته وبكى على خطيئته)).
(٦١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٢١١/١٠.
(٦٢) مسند أحمد:٣٥/٣.
(٦٣) سورة الأعراف:١٨٢.
(٦٤) سورة ن:٤٤.
(٦٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٠٢/٦.
(٦٦) كنز العمال:٦٦/١٤.
(٦٧) يقصد بالدلالة التامة توصيل المعنى بحيث يحسن السكوت على النص. حاشية الأميري على المغني:٤٢/٢.
(٦٨) ظ: السيمائية العربية بحث في أنظمة الإشارة عند العرب:٢٠١.
(٦٩) ظ: كتاب الصناعتين:٣٦، بديع القرآن:٥٢، التبيان في علم المعاني والبديع والبيان:٤١٣.
(٧٠) ظ: جمهرة الأمثال على حاشية مجمع الأمثال:٥.
(٧١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٢٠٤/٢.
(٧٢) ظ: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي:٩٣.
(٧٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٤٨/١٦.
(٧٤) ظ: تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع:١٤٥.
(٧٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٦٢/١.
(٧٦) ظ: م.ن:١٦٧/١.
(٧٧) ظ: تاريخ اليعقوبي:١٦١/٢-١٦٣.
(٧٨) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٦٨/١.
(٧٩) سورة هود:٨٣٤.
(٨٠) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٨٢/١٥-١٨٤.
(٨١) ديوان الهذليين:٢١.
(٨٢) جمهرة الأمثال:١٦١/١.
(٨٣) ظ: م.ن:١٦١/١.
(٨٤) ظ: جمهرة الأمثال:٢٠٦/٢.
(٨٥) عثمان بن حنيف بن وهب الأنصاري، أبو عمر الأوسي، من الصحابة المعروفين، شهد أحداً وما بعدها،ولاّه الخليفة عمر بن الخطاب السواد، ثم استعمله أمير المؤمنين علي عليه السلام على

البصرة، أمتنع عن نصرة أصحاب الجمل، ووقف مع الإمام علي عليه السلام ثم سكن بعدها الكوفة، توفي عام ٤١هـ. ظ: الكامل في التاريخ، ٣٦٠/٢.

(٨٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٢٨٦/١٦.

(٨٧) ديوان الأعشى:١٩٣.

(٨٨) عرّف ابن السكيت المثل بقوله:((لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره)). مجمع الأمثال:١٨. وعرفه هيجل Hegel، بأنه حادثة جزئية في الأعم الأغلب من الحياة الاعتيادية أعطيت مدلولا أسمى وأعم بهدف جعل هذه المدلول واضحا للعيان، وقابلا للإدراك والفهم. ظ: الفن الرمزي، الكلاسيكي، الرومانسي:١٣٣.

(٨٩) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٧٠/٧.

(٩٠) مجمع الأمثال:٣٦٠/١.

(٩١) ظ: شرح نهج البلاغة، (البحراني):٢٧٧/١.

(٩٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٢٣٣/٩.

(٩٣) ظ: جمهرة خطب العرب:١٣٨/١.

(٩٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٠٢/٦، والمنسر:قطعة من الجيش تمرّ قدام الجيش الكثير، وانجحر: استتر في بيته، والسهم الأفوق: الناصل المكسور الفوق، المنزوع النصل، والفوق:موضع الوتر مخن السهم.

(٩٥) مجمع الأمثال:٢١٥/١.

(٩٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٠٣/٦.

(٩٧) م.ن:٦٠/١٨.

(٩٨) جمهرة خطب العرب:١٢٢/١.

(٩٩) ظ: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال:٢٥٦.

(١٠٠) ظ: النص الأدبي بين التلقي وإعادة الإنتاج:١٦٧.

(١٠١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٢٧٣/١.

(١٠٢) التقسيم: هو ذكر متعدد ثم إضافة إلى كلّ واحد من أجزائه ما هو له على التعيين. ظ: مفتاح العلوم:٤٢٥، الإيضاح في علوم البلاغة:٢٧٠، التبيان في علم المعاني البديع والبيان:٤٠٣.

(١٠٣) قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾. سورة هود:١١٤.

(١٠٤) ظ: شرح نهج البلاغة، البحراني:٣٦٩/١، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة:٢٠٦/٣.

(١٠٥) سورة البقرة:١٤٣.

(١٠٦) الكشاف:١٩٧/١.

(١٠٧) سنن النسائي:٦٤/٣.
(١٠٨) ظ: تاريخ الفلسفة اليونانية:١٩٠.
(١٠٩) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٦٢/٧.
(١١٠) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٧١/٧.
(١١١) ظ: التبيان في علم المعاني والبديع والبيان:٣٩٩.
(١١٢) اللف والنشر، وهو أن تضمّ متعدد ثم تتبعه ما لكل منه من غير تعيين. ظ: مفتاح العلوم:٤٢٥، الطراز:٣٩٧.
(١١٣) ظ: البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن:٣١٣.
(١١٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٢٧٢/١.
(١١٥) ظ: شرح التبيان في علم البيان:٣٣١.
(١١٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٣٢/١٠.
(١١٧)شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٣١٢/١.
(١١٨) الجمع: وهو أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أكثر تحت حكم واحد. ظ: مفتاح العلوم:٤٢٥، فن البديع:٧٥.
(١١٩) التفريق: ((وهوان تقصد إلى شيئين من نوع، فتوقع بينهما تباينا)). مفتاح العلوم:٤٢٥.
(١٢٠) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٧٠/٧.
(١٢١) م.ن:٣١٢/١٨.
(١٢٢) قال تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ سورة النساء:١١.
(١٢٣) الجمع مع التفريق: وهو أن يجمع المتكلم بين شيئين في معنى، ويفرق من جهتي الجمع. ظ: مفتاح العلوم: ٤٢٦، البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم:١٠٠.
(١٢٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٧٨/٧.
(١٢٥) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٧٨/٧.
(١٢٦) ظ: الديباج الوضي:٧٩٨/٢.
(١٢٧) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧٤/٢٠.
(١٢٨) م.ن: ١١٢/٨.
(١٢٩) ظ: شرح نهج البلاغة، البحراني:١٢٧/٣.
(١٣٠) ظ: التداولية من أوستن إلى غوفمان:٦٤.
(١٣١) ظ:النص وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري:٢٦.
(١٣٢) سورة الأعراف:٨٥.

(١٣٣) من ذلك مثلا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ سورة البقرة:٢٤٧. ذكر الكلبي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام،إذ لم يكن يملك غير أربعة دراهم تصدق بدرهم ليلا، وبدرهم نهارا، وبدرهم سرا، وبدرهم علانية، فقال له الرسول صلى الله عليه وآله :ما حملك على هذا؟ قال:حملني أن استوجب على الله الذي وعدني، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله:ألا أن ذلك لك. فأنزل الله تعالى هذه الآية. ظ: أسباب النزول:٧٨-٧٩، الكشاف:٣١٤/١-٣١٥. وغير هذه الآية آيات أخرى منها: سورة البقرة:٢٠٦، وسورة المائدة:٥٥.

(١٣٤) من ذلك مثلا عن سلمان المحمدي (رض) عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال:((أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب)). كنز العمال:١٥٦/٦، ظ:الاستيعاب في معرفة الأصحاب:٤٠/٣. وعن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله :((أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتِ الباب)). كنز العمال:١٥٢/٦. وغيرها.

(١٣٥) ((هو جمع بين متعدد تحت حكم، ثم تقسيمه أو العكس)). التلخيص في علوم البلاغة:٩٢.

(١٣٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٩١/١.

(١٣٧) ظ: الديباج الوضي:١٤٠/١.

(١٣٨) وهو الجمع بين شيئين أو أشياء في حكم واحد، ثم التفريق بينها في ذلك الحكم، ثم التقسيم بين الشيئين أو الأشياء المفرّقة بأنّ يضاف إلى كلّ ما يلائمه ويناسبه.ظ:مفتاح العلوم:٤٢٦، علم البديع(عتيق):١٦٢، أساليب البديع في القرآن :٦٢٥.

(١٣٩) شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد:٢٠١/٧-٢٠٢

(١٤٠) شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد:٣٦٤/١٩.

(١٤١) ظ: كتاب الصناعتين:٣٧١، بديع القرآن: ١١١، الإيضاح في علوم البلاغة:٢٦٥.

(١٤٢) البلاغة العربية قراءة أخرى:٣٧٨.

(١٤٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٢٨٣/١.

(١٤٤) ظ: في ظلال نهج البلاغة:٣٢٠/١.

(١٤٥) ظ: البلاغة العربية قراءة أخرى:٣٧٨.

(١٤٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد :١٨٧/٧.

(١٤٧) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٨٧/٧، في ظلال نهج البلاغة:٤٤٣/٢.

(١٤٨) ظ: شرح نهج البلاغة، البحراني:٤٢/٣، منهاج البراعة:٢٣٩/٧-٢٤٠.

(١٤٩) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٩٩/١٠.

(١٥٠) ظ: الديباج الوضي:١٥٤٦/٤.

(١٥١) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٠١/١٠، شرح نهج البلاغة، البحراني:٣٦٦/٣، منهاج البراعة:٣٠٥/١٠.
(١٥٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٩٧/١٦.
(١٥٣) ظ: شرح نهج البلاغة، البحراني:٤٨/٥.
(١٥٤) ديوان أبي الطيب المتنبي:٢٩٣/١.
(١٥٥) الديباج الوضي:٢٣٤٥/٥.
(١٥٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١١٣/١٦.
(١٥٧) بلاغة الخطاب وعلم النص:٢١١.
(١٥٨) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٣٤/١٧.
(١٥٩) ظ: الديباج الوضي:٢٥١٣/٥-٢٥١٤.
(١٦٠) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٨٥/١٩.
(١٦١) م.ن:١٠٢/١٩.
(١٦٢) ظ:المستويات الجمالية في نهج البلاغة:٧٣-٧٤.
(١٦٣) ظ:البلاغة العربية قراءة أخرى:٣٧٩.
(١٦٤) ظ: كتاب الصناعتين: ٣٩٦، الطراز: ٤٣٨.
(١٦٥) ظ: مفتاح العلوم:٤٢٧.
(١٦٦) ظ: كتاب الصناعتين:٣٩٦، الطراز:٤٣٨.
(١٦٧) نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٨٧/١٠.
(١٦٨) شرح في نهج البلاغة،البحراني:١٣٤/٣-١٣٥.
(١٦٩) ظ: البلاغة الاصطلاحية:٣٥.
(١٧٠) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٦/٤.
(١٧١) م.ن:١١١/٢.
(١٧٢) شرح نهج البلاغة،البحراني:٥٢/٢، ظ: في ظلال نهج البلاغة:٤٠٤/١.
(١٧٣) ظ: الديباج الوضي:٣٦٨/١، منهاج البراعة:١٨/٤.
(١٧٤) ظ:الديباج الوضي:٣٦٨/١، شرح نهج البلاغة،البحراني:٥١/٢.
(١٧٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٩٩/١٠.

والأعلام المذكورون في النص هم من الصحابة السابقين إلى الإسلام،الذين ظلوا مخلصين للمبادئ الإسلامية التي أرساها النبي صلى الله عليه وآله واستكملها الإمام عليه السلام بعده،فكانت لهم مواقف تاريخية خالدة معروفة في نصرة الحق وخدمة الإسلام حتى انتقالهم إلى الرفيق الأعلى. ظ:

الاستيعاب في معرفة الأصحاب:١٣٧/٣، الإصابة في تمييز الصحابة:٣٣٩/٤، و ٢٢٧/٧، الطبقات الكبرى:١٦٥/٤، ماء رنق: بالتسكين، أي: كدر.

(١٧٦) ظ: الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية:١٠٨-١٠٩.

(١٧٧) كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. سورة آل عمران:١٦٩، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ....﴾. سورة النساء:١٧٣.

(١٧٨) ظ: الديباج الوضي:١٥٤٨/٤

(١٧٩) ظ: البرهان في علوم القرآن:٤٤٥/٣، بديع القرآن:١٠٢.

(١٨٠) ظ: نهاية الإيجاز: ٢٩١،مفتاح العلوم:٤٢٧.

(١٨١) ظ: الأسلوبية، مولينيه:١٧-١٨.

(١٨٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٨٣/١، والموج المكفوف:الممنوع من السيلان، وعمدا يدعمها: يكون لها دعامة، والدسار: واحد الدسر، وهي المسامير. والثواقب النيرة: المشرقة، وسراجا مستطيرا: منتشر الضوء، رقيم مائر: لوح متحرك.

(١٨٣) لسان العرب، مادة(سرج):٨٣/٢.

(١٨٤) التورية المبنية:((هي التي تتضمن ما يلائم المورى عنه، أما قبل التورية أو بعدها)).البلاغة العربية في ثوبها الجديد:٩٠.

(١٨٥) ظ: شرح نهج البلاغة،البحراني:١٩١/١، منهاج البراعة:٣١٥/١.

(١٨٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٢٩١/١.

(١٨٧) ظ: شرح نهج البلاغة،البحراني:٣٩١/١، الديباج الوضي:٣٠٦/١.

(١٨٨) التورية المجردة:((فهي التي لا تجامع شيئاً مما يلائم المورى به)). الإيضاح في علوم البلاغة:٢٦٧.

(١٨٩) ظ:شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٢٩٧/١.

(١٩٠) شرح نهج البلاغة:٥٩/١٩.

(١٩١) باعتماده على شواهد قرآنية منها قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً....﴾. سورة البقرة: ٢٤٥، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. سورة البقرة:٢٦١.

(١٩٢) ظ:الإيضاح:٢٦٧.

(١٩٣) الإيضاح في علوم البلاغة:٢٧٥، ظ: شرح التبيان في علم البيان:٣٣٦.

(١٩٤) البرهان في علوم القرآن:٥٥/٣.

(١٩٥) يقول متحدثاً عن التشبيه:((فقولك رأيت أسداً ـ تريد وصف رجل بالشجاعة، وتشبيه بالأسد على المبالغة ـ أمر يستوى فيه العربي والعجمي)). ويقول في موضع آخر:((أنك تقول رأيت أسداً، تريد رجلاً شبيهاً به في الشجاعة، وظبية، تريد امرأة شبيهة بالظبية، فالتشبيه ليس هو الاستعارة، ولكن الاستعارة كانت من أجل التشبيه، وهو كالفرض فيها، أو كالعلة والسبب في فعلها(.....) ولكن التشبيه يحصل بالاستعارة على وجه خاص وهو المبالغة)). أسرار البلاغة:٢٣،و ١٩٣.

(١٩٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١١٢/٨.

(١٩٧) ظ: شرح نهج البلاغة، البحراني:١٢٧/٣

(١٩٨) منها قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾، سورة آل عمران:١٠٣. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. سورة آل عمران:١٠٥.

(١٩٩) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٥١/١.

(٢٠٠) تدلل على ذلك أحاديث نبوية شريفة، أشهرها حديث الغدير، وقد ورد بصياغات مختلفة منها: ((من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه وأنصر من نصره، واخذل من خذله وأدر معه الحق حيث دار)).ظ: مسند أحمد:٨٤/١، و١١٨/١، سنن النسائي:٤٥/٥.

(٢٠١) ظ: شرح نهج البلاغة، البحراني:٣١٤/١، الديباج الوضي:٢٠٢/١.

(٢٠٢) عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو محمد رأى الرسول صلى الله عليه وآله، وقد ولاه أمير المؤمنين عليه السلام اليمن، قتل معاوية ولديه وهما صغيران في غارة لبسر بن أرطأة فأصبحا مضرب المثل في ذلك، جعله الإمام الحسن عليه السلام على مقدمة جيشه الذي نهض به لملاقاة معاوية، فأغواه بالأموال والمناصب فهرب إليه وبايعه، توفي عام ٧٨هـ.ظ: تاريخ بغداد:٣٧٢/١٠.

(٢٠٣) سعيد بن نمران بن نمر الهمداني، سيد همدان تابعي استكتبه أمير المؤمنين علي عليه السلام، ثم ضمه إلى عبيد الله بن العباس حينما ولاه على اليمن، شهد اليرموك، ولّما آل الأمر إلى معاوية استشفع عنده بحمزة بن مالك، فخلى معاوية سبيله، استعمله مصعب بن الزبير على قضاء الكوفة، توفي حوالي عام٧٠هـ. ظ: الإصابة في تمييز الصحابة:٢١١/٣.

(٢٠٤) بسر بن أرطأة أو ابن أبي أرطأة، أبو عبد الرحمن العامري القرشي، من الجبارين العتاة الفتّاك، ولد بمكة وكان من رجال معاوية المقربين، كان معاوية أمره بأن يوقع بأصحاب علي عليه السلام وولاه البصرة، قاتل أبناء عبيد الله بن العباس وهم صغار السن من الناصبين العداء لأمير المؤمنين عليه السلام، توفي في دمشق عام٨٦هـ. ظ: أسد الغاية في معرفة الصحابة:٣٧٤/١.

(٢٠٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٣٣٢/١.

(٢٠٦) ظ: لسان العرب،مادة(قعب):٦٢٨/١، الديباج الوضي:٣٣٩/١.
(٢٠٧) ظ: شرح نهج البلاغة، البحراني:٢١/٢، منهاج البراعة:٣٠٩/٣.
(٢٠٨) الإيضاح في علوم البلاغة:٢٦١،ظ: الأصول:٣٨١.
(٢٠٩) ظ: أنوار الربيع في أنواع البديع:٥٠/٣.
(٢١٠) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٧٧/١٨.
(٢١١) ظ: البلاغة العربية، قراءة أخرى:٣٦٤-٣٦٥.
(٢١٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٣١٣/١٨.
(٢١٣) ظ: البلاغة العربية، قراءة أخرى:٣٧٠.
(٢١٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٩٩/٦-٢٠٠.
(٢١٥) ظ:الإيضاح في علوم البلاغة:٢٧٦،التبيان في علم المعاني والبديع والبيان:٣١٦.
(٢١٦) ظ: الطراز:٤٦٥، بديع القرآن:١٠٩.
(٢١٧) علم البديع،بسيوني:٢٠١.
(٢١٨) علم المعاني يستند إلى إمكانات الجملة، فهو يرتكز على معاني النحو التي تنزاح بحسب المقام والموقف فيزاد على أصل الجملة في الموقف النحوي المحايد، فإنه بحكم تماسك الإسناد النحوي يضم التوقع بحسب السيوطي.
(٢١٩) الإتقان في علوم القرآن:٢٨/١.
(٢٢٠) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٢٦/٢.
(٢٢١) م.ن:٢٣٠/١.
(٢٢٢) سورة النحل:١٠٦. ظ: أسباب النزول:٢٣١، لباب النقول في أسباب النزول:١٢١.
(٢٢٣) شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد:٢٤٦/٧.
و(قُلْعَة)بضم القاف وسكون اللام أي ليست بمستوطنة .و(النجعة)طلب الكلأ في موضعه.
(٢٢٤) ظ:حسن التعليل تاريخ ودراسة:٩.
(٢٢٥) مفتاح العلوم:٤٢٤،ظ:الأصول:٣٨٠.
(٢٢٦) ظ:البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية:١٠٦.
(٢٢٧) ظ:البديع في ضوء أساليب القرآن:٨١.
(٢٢٨) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٢٤٦/٧.
(٢٢٩) ظ: م.ن:٢٤٨/٧، منهاج البراعة:٤٠/٨-٤١.
(٢٣٠) ظ:البلاغة العربية قراءة أخرى:٣٧٦.
(٢٣١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٥/٨.
(٢٣٢) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٦/٨، الديباج الوضي:١٠٢٢/٣.

(٢٣٣) ظ: البلاغة العربية قراءة أخرى:٣٧٦.
(٢٣٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٦/٤.
(٢٣٥) الإيضاح في علوم البلاغة:٢٦٨، ظ: أنوار الربيع في أنواع البديع:٣٠٧/١.
(٢٣٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٦٠/٢.
(٢٣٧) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة:٣٢٩/٣.
(٢٣٨) شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد:٢١/٧.
(٢٣٩) ظ: لسان العرب، مادة(أجل):١٢٩/٦.
(٢٤٠) ظ: الديباج الوضي:٧٤٥/٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ - الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ)، ضبطه وصححه وخرج آياته محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ط١، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

٢ ـ الأذكياء، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي(ت٥٩٧هـ)، وضع حواشيه محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،(د.ت).

٣ ـ استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

٤ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي(ت٤٦٣هـ)، تحقيق وتعليق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود،دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ط٢، ٢٠٠٢م.

٥ـ أسرار البلاغة في علم البيان، الشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

٦ـ الأسلوبية، جورج مولينيه، ترجمه وقدم له د.بسام بركة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

٧ـ الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض،دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، ط٣، ٢٠٠٥م.
٨ ـ أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، أسس نحو النص، محمد الشاوش، كلية الآداب، منوبة، تونس، ط١، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م).
٩ـ الأصول دراسة ابستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي، د. تمام حسان،دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب،(١٤١١هـ/١٩٩١م).
١٠ـ بديع القرآن، لابن أبي الأصبع المصري (ت٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق حفني محمد شرف،مكتبة نهضة مصر بالفجالة، مصر،ط١، (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م).
١١ـ البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د.جمال عبد المجيد، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.
١٢ـ البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم،د. عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٩م.
١٣ـ البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن،كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (ت٦٥١هـ)، تحقيق د. خديجة الحديثي، ود. أحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، ط١، (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م).
١٤ ـ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط١(١٣٧٦هـ/١٩٥٧م).
١٥ـ بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة، الكويت،(١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).
١٦ـ البلاغة الاصطلاحية، د. عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة،(١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
١٧ـ البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ١٩٩٧م.
١٨ـ البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،ط٢، (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م).
١٩ـ تاريخ الطبري(تاريخ الرسل والملوك)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري،(ت٣١٠هـ)،منشورات الأعلمي للمطبوعات،بيروت،لبنان،ط٥، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

٢٠ـ تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، دار القلم، بيروت، ١٩٧٧م.
٢١ـ تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٤م.
٢٢ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب(توفي بعد سنة ٢٩٢هـ)، قدم له وعلق عليه:السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ط٤، (١٣٩٤هـ-١٩٧٤م).
٢٣- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، شرف الدين حسين بن محمد الطيبي (ت٧٤٣هـ)، تحقيق د.هادي عطية مطر الهلالي، مكتبة النهضة العربية، بيروت،ط١، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
٢٤ـ التداولية عند العلماء العرب،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،د.مسعود صحراوي،دار الطليعة،بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
٢٥ـ التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، اللاذقية، ط١، ٢٠٠٧م.
٢٦ـ تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٦٤م.
٢٧ـ التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث، د.سامي محمد عبابنة، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، عمان، ط١، ٢٠٠٧م.
٢٨ـ تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن السيوطي(ت٧٣٩هـ)، قرأه وكتب حواشيه وقدم له: د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط١،(١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
٢٩ـ جمهرة الأمثال على حاشية مجمع الأمثال للميداني، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري(ت٣٩٥هـ)، المطبعة الحيدرية، ١٣١٠هـ.
٣٠ـ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت،لبنان، (د.ت).
٣١ـ حسن التوسل إلى صناعة الترسل، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن سليمان، المعروف بشهاب الدين الحلبي(ت٧٢٥هـ)، تحقيق أكرم عثمان يوسف، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م.
٣٢ـ الخيال الرمزي،جيلبير دوران، ترجمة علي المصري، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،لبنان،ط١(١٤١١هـ/١٩٩١م).

٣٣- الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي، أبو الحسن يحيى بن حمزة بن علي الحسيني (ت٧٤٩هـ)، تحقيق خالد بن قاسم بن محمد المتوكل،مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، الجمهورية اليمنية، ط١، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
٣٤- ديوان أبي الطيب المتنبي(ت٣٥٤هـ)، بشرح أبي البقاء العكبري(ت٦١٠هـ) المسمى التبيان في شرح الديوان، ضبط نصه وصححه د.كمال طالب، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ط٢، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
٣٥- ديوان أبي نواس، الحسن بن هانئ(ت١٩٥هـ)، حققه وضبطه وشرحه، أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).
٣٦- ديوان الأعشى الأكبر، ميمون بن قيس، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥م.
٣٧- ديوان الهذليين، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب صادرة عن الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.
٣٨- سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، دار الفكر، بيروت، (١٣٤٨هـ/١٩٣٠م).
٣٩- السيميائية العامة وسيمياء الأدب،عبد الواحد المرابط، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم،دار الأمان،الرباط، ط١، (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
٤٠- شرح التبيان في علم البيان، أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت٩٠٩هـ)، دراسة وتحقيق د. أبو أزهر بلخير هانم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١، ٢٠١٠م.
٤١- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد(ت٦٥٦هـ)، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، (١٣٧٨هـ/١٩٥٩م).
٤٢- شرح نهج البلاغة، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت٦٧٩هـ)،منشورات الثقلين، بيروت، لبنان، ط١، (١٤٢٠هـ/١٩٦٩م).
٤٣- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت٢٦١هـ)، حقق نصوصه وصححه ورقمه وعدّ كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي،دار الحديث،القاهرة (د.ت).
٤٤- طبقات الشافعية، أبو بكر بن أمرين بن محمد قاضي شهبة(ت٨٥١هـ)،تحقيق د.الحافظ عبد العليم حسن،عالم الكتب،بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٤٥ـ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني (ت٧٤٥هـ)،مراجعة وضبط وتدقيق محمد عبد السلام شاهين،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١(١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
٤٦- علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
٤٧- فن البديع، د.عبد القادر حسين، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
٤٨- الفن الرمزي،الكلاسيكي، الرومانسي، هيجل، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
٤٩ـ في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، د.خليفة بوجادي، بيت الحكمة، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م.
٥٠ـ في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد، شرح الشيخ محمد جواد مغنية، وثق أصوله وحققه وعلق عليه سامي القريزي، مطبعة ستارة،مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم،ط١، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م).
٥٢ـ الكامل في التاريخ،عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني بن الأثير(ت٦٣٠هـ)،دار صادر، بيروت،لبنان، ط٨، ٢٠٠٨م
٥٣ـ كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط١، (١٣٧١هـ/١٩٥٢م).
٥٤ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل،لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(ت٥٣٨هـ)، حققه على نسخة خطية:عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي،مؤسسة التاريخ العربي،بيروت،لبنان، (١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
٥٥ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي الهندي (ت٩٧٥هـ)، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، ١٣١٣هـ.
٥٦ـ لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري (ت٧١١هـ)، حققه وعلق عليه وضبط حواشيه عامر أحمد حيدر، راجعه عبد المنعم جليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

٥٧- ما التداوليات، بحث عبد السلام اسماعيلي علوي، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم د. حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، أربد، عمان، ٢٠١١م.
٥٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشامي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
٥٩- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(من أعلام ق ٦هـ)، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين والاختصاصيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١،(١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
٦٠ـ مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، جوزيف كورتيس، ترجمة د. جمال حضري، منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان،الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط١،(١٤٢٤هـ/٢٠٠٧م).
٦٢- المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي (ت٨٥٢هـ)، قدم له وضبطه وشرحه د. صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال،ط١، ٢٠٠٠م.
٦٣- المستويات الجمالية في نهج البلاغة دراسة في شعرية النثر، نوفل أبو رغيف، سلسلة الفكر العراقي الجديد،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ٢٠٠٨م.
٦٤- مسند أحمد، أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت، (د.ت).
٦٥- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي(ت٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان، (د.ت).
٦٦ـ معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط١(١٤١٣هـ/٢٠١٠م).
٦٧- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني(ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (د.ت).
٦٨- المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، د.محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، ردمك، ليبيا، ط٢، ٢٠٠٧م.
٦٩- مفتاح العلوم، أبو يعقوب بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ)، ضبطه وشرحه الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١(١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

٧٠- المقولات البلاغية، دراسة مقامية براغماتية، منال النجار، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم:حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، (١٤٣٢هـ-٢٠١١م).
٧١- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، صنفه الشيخ حسن الأملي، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١،(١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
٧٢- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي(ت١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، (د.ت).
٧٣- نحو نظرية أسلوبية لسانية، فيلي ساندرس، ترجمة:د. خالد محمد جمعة، المطبعة العلمية، دمشق، ط١(١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
٧٤- النص الأدبي بين التلقي وإعادة الإنتاج، من أجل بيداغوجيا تفاعلية للقراءة والكتابة، ميلود حبيبي، ضمن كتاب نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الرباط، (د.ت).
٧٥- النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فإن دايك، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
٧٦- النص وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري، حميد سمير، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.
٧٧- نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، د. حسين خمري، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت،لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
٧٨- نظرية علم الدلالة، السيمانطيقا، راث كيمبسون، ترجمة عبد القادر قنيني، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط١ (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).
٧٩- النقد الجمالي في النقد الألسني، معجب الزهراني، بحث منشور في "فصول" (مجلة)، العدد(٤)، ١٩٩٧م.
٨٠- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين بن عمرو بن الحسين الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق ودراسة د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،ط١، ١٩٨٥م.